الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدّكتور مولاي الطّاهر-سعيدة
كلّيـة الآداب واللّغات والفنون
قسم اللّغة والأدب العربي
تخصّص : لسانيات عامّة

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي الموسومة بـ:

السّياق القرآني وأثره في تغيير الدّلالة المعجميّة للألفاظ
– نماذج مختارة –

إعداد الطّالب :
حاج داود عبد الله

إشراف الأستاذ :
د. عجّال لعرج

لجنة المناقشة

الدّكتور: مجاهد تامي.....جامعة سعيدة –رئيساً.

الأستاذ الدّكتور: عجّال لعرج..... جامعة سعيدة مشرفاً ومقرّرا.

الدّكتور: زحّاف الجيلالي ..... جامعة سعيدة –ممتحناً.

السّنة الجامعية

2019-2020م/1440-1441هـ

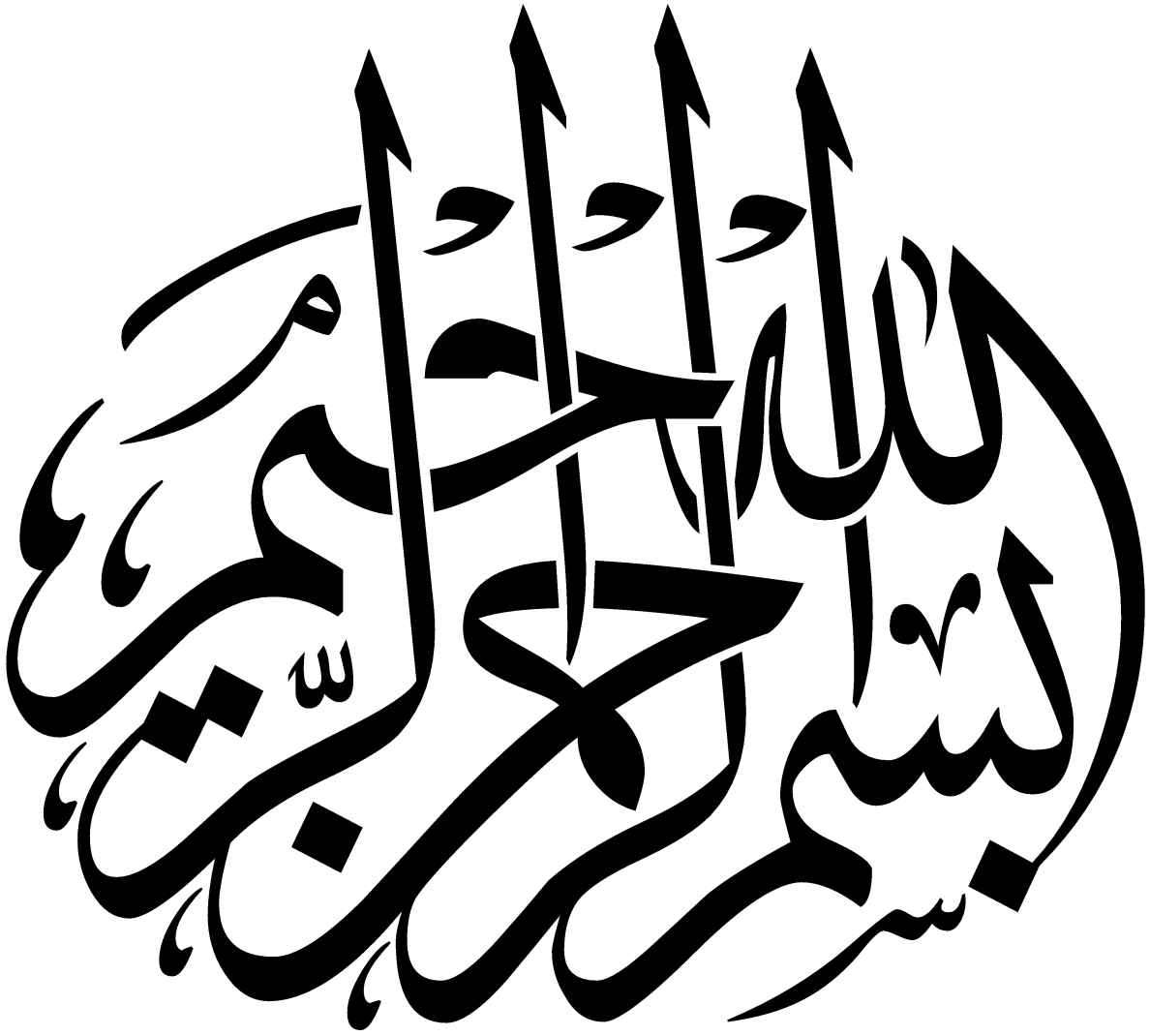

﴿ وَسِيقَ ٱلذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرا ﴾

سورة الزّمر- الآية 70

إهداء

إلى من سلكا بيَ طريق التّعلّم ولا يزالا يدلّلان ليَ الصعاب والعقبات فكانا لي نعم السّند والعون، يامن قال اللّه في حقّكما: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ أنتما يامن علّماني أنّ العلم لا يكتمل إلا وتاج الأخلاق يعلوه .... إليكما يا نبع الحب والحنان أمّي وأبي.

إلى رفقـــــــــــاء فـــــؤادي إخـــوتي

إلى كلّ من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، إلى كلّ معلّم ومتعلّم وأخصّ بالذّكر مشايخي، إلى كلّ من علّمني حرفا طليت حياتي.

إلى الكثيرين الذين أعرفهم ولا يتّسع المقام لذكرهم جميعاً.

إلى طلبة قسم اللّغة والأدب العربي عموما، وإلى زملائي في تخصص اللّسانيات العامّة في هذه الدّفعة على وجه الخصوص.

شكر وعرفان

أشكر الله عزّوجل على أن وفقّني لإتمام هذا العمل المتواضع

وشكري لله يكون من شكري للنّاس، وامتثالا لذلك فإنّي أتوجّه بالشّكر الجزيل والتّقدير العميق لأستاذي المشرف الدّكتور : "عجّال لعرج" الذي منحني نصائحَ وتوجيهات.

كما أتوجّه بأسمى عبارات الشّكر والتّقدير إلى اللّجنة العلميّة الموقّرة التي أشرفت على قراءة هذه الرّسالة مناقشةً وتصحيحاً.

مُقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

-تعدُّ اللّغة العربيّة واحدةً من أكثر اللّغات ثراءً من نّاحية مفرداتها ، كيف لا ؟ وهي اللّغة التي نزل بها القرآن الكريم وتشّرفت به قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ سورة يوسف – الآية 02؛ فحملت هذه اللّغة ألفاظه ومفرداته ، وانسجمت في أساليبه العجيبة والبليغة التي حيّرت العرب قاطبة وأوقفهم عاجزين غير قادرين على الإتيان بمثلها قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ سورة الإسراء – الآية 88؛ فهذا التّشريف وهذه المكانة وهذا الثّراء المفرداتي جعل منها محطّة دراسية بحتة للعديد من الدّراسات سواء اللّغوية أو الإسلاميّة ، ولأجل هذا اخترت أحد مواضيعها المتعلّقة بعلوم القرآن موظفاً ما حصّلت من معارف في هذا الاتّجاه النّبيل ، وهو البحث في ألفاظ القرآن ومعرفة معانيه المختلفة بعد التطّرق لسياقه ومعرفة مميّزاته وخصائصه فكان عنوان بحثي موسوما بـ:" السّياق القرآني وأثره في تغيّر الدّلالة المعجميّة – نماذج مختارة – " ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع لمجموعة من الدّوافع لعلّ أهمّها :

- الميل الشّخصي لمواضيع علوم القرآن المختلفة.

- الرّغبة في إثراء رصيدي المعرفي.

- معرفة معاني بعض الألفاظ القرآنية المتشابهة.

وقد اقتضت الدّراسة منّي طرح الإشكاليّة التّالية وهي: ما أثر السّياق القرآني في تغيير الدّلالة المعجميّة ؟ وصحب هذا التّساؤل أسئلة أخرى فرعية وهي : ما هو السّياق ؟ وما المقصود بالسّياق القرآني ؟ وما أثر السّياق في تحديد المعنى وتوضيحه ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة قمت بتقسيم البحث إلى فصلين أساسيّن : نظريٌّ وتطبيقيٌ تسبقهما مقدّمة ومدخل تحدثت فيه عن ماهية الدّلالة وعن نشأتها وأنواعها وختمتُه بالحديث عن أهم القضايا الدّلالية، أمّا الفصل الأوّل (النّظري) فقمت بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث : فحوى المبحث الأوّل: مفهوم السّياق، وأمّا المبحث الثّاني فحوى: السّياق في التّراث العربي وفي الفكر اللّغوي الغربي، وأمّا المبحث الثالث فخصّصته للحديث عن السّياق القرآني.

أمّا الفصل الثّاني (التّطبيقي) فجسّدت فيه الجانب النّظري من خلال مجموعة نماذج لألفاظ من القرآن، ثمّ ختمتُ هذا البحث بخاتمة تعرّضت فيها لأهمّ النّتائج التي توصّلتُ إليها ؛ متّبعا – في الوقت ذاته – المنهج الوصفيّ التّحليلي، فكان الهدف من وراء هذا البحث هو الاطّلاع بشكل أكبر على السّياق بشكله العام و السّياق القرآني على وجه الخصوص، إضافة إلى تزويد الباحث في هذا المجال – ولو بالشّيء القليل – على بعض المصادر والمراجع، ولست أدّعي السّبق في هذا البحث فقد سبقني إليه باحثون كُثر ودراسات كثيرة أذكر منها:

-ردّة الله الطحلي – دلالة السّياق -أطروحة دكتوراه – جامعة أم القرى – م ع السّعودية – مج 1- 1418هـ.

-طارق بولخاصيم -ظاهرة التّغير الدّلالي في السّياق القرآني - أطروحة دكتوراه- قسم اللّغة العربية جامعة قسنطينة1- دفعة 2017-2018.

-فهد الشتوي - دلالة السّياق وأثرها في توجيه المتشابه اللّفظي في قصّة سيّدنا موسى – ع .السّلام - رسالة ماجستير- جامعة أم قرى 2005.

-محمّد الشّهراني- السّياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقليّة الحديثة –كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود -الرّياض- م ع السّعوديّة- ط1- 1436هـ.

-مختار بومدين- دور السّياق في فهم القصص القرآني، قصتا آدم وإبراهيم عليهما السّلام- مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان – الجزائر – دفعة 2014/2013.

وربمّا تكمن بصمتي في هذا العمل في طريقة تناوله أكثر من شيء آخر؛ فهذه الدّراسات التي ذكرتها لم تمنعني من الاعتماد المباشر على المصادر الأصليّة فكان ممّا اعتمدّت عليه: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع وبالضّبط المغاربي كونه المصدر الأول في هذه الدّراسة إضافة إلى المعاجم العربيّة وكان أهمّها : مقاييس اللّغة لابن فارس، لسان العرب لابن منظور .

كتب الدّلالة ومن بينها : علم الدّلالة لأحمد مختار عمر، و علم الدّلالة لمنقور عبد الجليل، وكذلك علم الدّلالة مقدّمة للقارئ العربي محمود السّعران وغيرها.

كتب النّحو ولعلّ أهمّها : الكتاب لسيبويه، الخصائص لابن جنّي.

كتب البلاغة وكان أهمّها : البيان والتّبين للجاحظ، أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.

وأما كتب الأصول فكان من أهمّ ما اعتمدّت عليه : كتاب الإلمام في بيان الأحكام للعّز بن عبد السّلام ،كتاب المستصفى للغزالي.

وأمّا عن كتب التّفسير فكانت أساسيّة في البحث خصوصاً أنيّ استعنت بها في الجانبين النّظري والتّطبيقي ومن أشهرها: جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطّبري، فتح القدير للشّوكاني، معالم التّنزيل للبغوي.

ولعلّ أهم الصّعوبات التّي واجهتني هي : صعوبة التّعامل مع الذّكر الحكيم وإصدار الأحكام عليه، بالإضافة إلى التدّاخل المعرفي في بعض جوانب هذا البحث، لكنّ هذا لم يمنعني من المواصلة في إتمام هذه الرّسالة.

المدخل :

- ماهيّة علم الدّلالة
- أنواع الدّلالة
- مباحث علم الدّلالة

بسم الله والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله.

-لقد اهتمّ اللّغويون منذ القدم بقضـــايا الألفاظ والمعاني وأولوها اهتماما بالغا كونها واحدة من أهمّ القضايا المحورية التي تتركز عليها مختلف العلوم كعلم التفسير وعلم أصول الفقه الإسلامي، إلى جانب علوم اللّغة لما لها من علاقة وطيدة بالقرآن الكريم، وقد ظهر هذا الاهتمام جلياً في العصـور السّـالفة ولايزال باق إلى يومنا هذا.

إنّ قضـية معاني الألفاظ ومدلولاتها قضـية جوهريّة بالغة الأهميّة قديمة المنبع تداولتها الدّراسـات وكثرت حولها التأليفات حتى شـهدت مكتباتنا العربيّة والإسـلاميّة زخما معرفيّا لا يسـتهان به خاصّـة ما تعلّق بتلك القضيّة من الذكر الحكيم.

لقد تحدث عنها المفسّـرون بمختلف مدارسـهم ومشـاربهم، والبلاغيون كذلك خصـوصـا ما آثره حولها الجرجاني والباقلاّني، والنّحويون كسيبويه وغيره، إضـافة إلى الأصـوليين كالشّـافعي وغيره، فحديث كلّ هؤلاء واهتمامهم كانت الغاية منه خدمة للقرآن الكريم واكتشاف أسراه وتحديد مقاصده آياته، وهذه القضية نفسها تناولتها مختلف الدّراسات الغربية خاصة تلك المتعلقة بالجانب الدّلالي وكان هدفهم من تلك الدّراسة هو البحثُ في ذاتيّة اللّغة .

1-ماهية علم الدّلالة :

- مفهوم علم الدّلالة :

لغة: تعدّدت المفاهيم اللّغوية لمفردة "دلالة " في المعاجم العربية على النّحو التّالي:

جاء في معجم لســـان العرب لابن منظور تعريفها على أنّها :« ما يســـتدلُّ به .. وقد دلّه على الطّريق ويدلّه دلالة بفتح الدال وكسرها وضمها والفتح أعلى.. والدّليل والدّليلي الذي يدلّك ».[1]

وعرّفها الزّمخشـري في معجمه أسـاس البلاغة بقوله :« أدللتُ الطّريق اهتديتُ إليه ... ومن المجاز الدّال على الخير كفاعله ودلّه على الطّريق المسـتقيم، ولي عليه دلائل، وتناصـرت أدلّة العقل وأدلّة السّمع واستدلّ به عليه ».[2]

أمّا المعجم الوسيط للفيروز أبادي فعرفها بقوله :« الدّلالة الارشـادُ وما يقتضيه اللّفظُ عند إطلاقه وجمعه دلائل ودلالات ».[3]

من خلال التّعريفات اللّغوية يتّضحُ أن جلّ المعاجم اشتركت في مفهومي الإرشاد والهدي.

---

[1] ابن منظر – لسان العرب- تح : عبد الله الكبير وآخرون- دار المعارف- القاهرة- دط -مج2-ص 1414

[2] جار الله الزمخشري – أساس البلاغة- تح : محمد عيون السود- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- ط1-1998-ج1-ص295

[3] الفيروز أبادي- القاموس المحيط- تح : محمد العروسي- مؤسسة الرسالة -ط8-2005- ص340

اصطلاحا :

لقد ارتبط مفهوم الدّلالة في الاصــطلاح عند القدامى بالعديد من العلوم التي ارتبطت به ســواء عند الغرب أو عند العرب ،أي أنّه لم يكن علما مســتقلاّ بذاته لذلك تجده يأخذ مصــطلحات متعدّدة أشــهرها علم المعنى، أمّا عند اللّغويين المحدثين فهو فرع من فروع اللّغة وأحد مســتوياتها التّحليلية ولم يظهر هذا العلم بالمصـطلح المتخصّـص الذي يقابل بالإنجليزية Semanticsوالذي يعني العلامة إلا مع ظهور أبحاث ميشـال بريل (Michel Bréal) وكان ذلك الاسـتخدام الأول لهذا المصـطلح سنة 1883م، وفي هذا السّياق نجد منقور عبد الجليل ينقل قول بريل وقد جاء فيه: «إنّ الدّراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تسمّ بعد، نعم، لقد اهتمّ معظم اللّسـانيين بجسـم وشكل الكلمات، وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنظم تغير المعـاني، وانتقـاء العبارات الجديدة ...وبما أنّ هذه الدّراسة تستحقّ اسماً خاصّاً بها، فإننّا نطلق عليها اسم "سيمانتيك" للدّلالة على المعنى [4] ».

وعلى ذلك يمكن ذكر بعض ماورد من تعريفات للدّلالة على النّحو الآتي:

يعرفها الزرّكشي بأنّها: «كون اللّفظ بحيث اذا أطلق فهم منه من كان عالماً بوضعه له [5]» وكأنّه يشير إلى حدّ بعيد عن الدّلالة الاصطلاحية وذلك بقوله فهم منها من كان عالما بوضعه أي اللّفظ.

[4] منقور عبد الجليل- علم الدلالة أصوله ومباحثه في الثرات العربي- اتحاد كتاب العرب- دمشق -سوريا 2001-ص 20

[5] برهان الدين الزركشي – البحر المحيط في أصول الفقه- مراجعة إبراهيم الأشقر- وزارة الأوقاف الإسلامية بالكويت-ط2-1992-ج2-ص 37

أمّا التهناوي فيعرّفها يقوله: « أن يكون الشّيء بحاجة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر... والشّيء الأوّل يسمّى دالاً والشّيء الآخر يسمّى مدلولاً [6]».

ويذهب الشريف الجرجاني إلى نفس التعريف السّابق فيعرفها بقوله: « هي الشيء بحاجة يلزم العلم به العلم بشيء آخر فالأوّل الدّال والثّاني المدلول [7]».

ويتّضـــح من خلال هذين التّعريفين التّقارب بينهما لذلك فانّهما يبينان عنصـــري الدّلالة والتي هي الدّال والمدلول واللذان لابدّ من وجودهما معا حتى يُعلم المقصود.

وعند المحدّثين نجد أحمد مختار عمر يعرّفها بقوله: «يعرّفه – ويقصد علم الدّلالة –بعضهم بأنّه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللّغة الذي يتناول نظرية المعنى أو ذلك الفرع الذي من علم اللّغة الذي يدرس الشّـروط الواجب توافرها في الرّمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى [8]».

وهي عند حسام البهنساوي : « العلم الذي يقوم بدراسة المعنى سواء على مستوى الكلمة المفردة أو على مستوى الجملة أو التركيب أو على مستوى المورفيم أو على مستوى الصوت [9]».

---

[6] علي التهانوي- كشاف اصطلاحات الفنون –تح : علي دحروج – مكتبة ناشرون –لبنان –ط1 –1996–ج 1–ص 787

[7] الشريف الجرجاني- التعريفات- تح : صديق المنشاوي –دار الفضيلة – القاهرة –ص 26 .

[8] أحمد مختار عمر- علم الدّلالة – دت – مكتبة لسان العرب- عالم الكتب –القاهرة– ص12.

[9] حسام البهنساوي–علم الدّلالة والنظريات الدّلالية الحديثة –دت–مكتبة زهراء الشرق- القاهرة –2009–ط1–ص 45.

وقريبٌ من هذا التّعريف يعرّفها محمود السعران بقوله: « علم الدّلالة أو دراسة المعنى فرع من فروع اللّغة وهو غاية الدّراسات الصّوتية والفونولوجية والنّحوية والقاموسيّة إنّه قمّت هذه الدراسات ».[10] ولذلك فجلّ هذه التّعريفات تصطلح على الدّلالة مصطلح العلمية لاستقلالها بذاتها فيما بعد، كما أنّهم يرادفون بين مصطلحي الدّلالة والمعنى – «وهناك من يراهما غير مترادفان، فيعتبر أنّ المعنى أعمّ وأشمل من الدّلالة لأنّه يشمل العبارة والجملة بينما الدّلالة تشمل الألفاظ فقط »[11] ؛كما نجد التّعريفين الآخرين يحدّدان مستويات دراسات المعنى.

– نشأة علم الدّلالة :

إنّ الحديث عن نشأة علم الدّلالة يرجع بنا إلى العصور المتقدّمة التي أدلت بدلوها في هذا العلم بدءًا بالحضارات السّابقة وصولاً إلى العصر الحديث .

«لقد تعرّضت الحضارات السّابقة للعديد من موضوعات الدّلالة، بدءاً بالفلاسفة اليونانيّون الذي تحدّثوا عن بعض مواضيعها ،كحديث أرسطو مثلاً عن الفرق بين الصّوت والمعنى الذي ذكر فيه تطابق المعنى مع التّصور الموجود في عقل المفكّر ، بالإضافة إلى حديث أفلاطون عن العلاقة بين اللّفظ ومدلولاته، مروراً بالهنود الذين أسهموا في البحث الدّلالي من خلال تعرّضهم لبعض مواضيع الدّلالة كنشأة اللّغة وأصلها ، وتعرّضهم لدور المجاز في تغيير المعنى،كما تحدّثوا أيضا عن العلاقة بين

[10] محمود السعران – علم الدلالة – مقدمة للقارئ العربي –دت – دار النهضة العربية –بيروت –دط– ص 261 .

[11] ينظر– عزمي إسلام– مفهوم المعنى – دراسة تحليلية –حوليات كلية الاداب–ح6 – الكويت–الرسالة 31–1985م–ص25.

الألفاظ ومعانيها؛ وصولاً في هذا الاتجاه – الحضارات السّابقة- إلى الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي أسهمت بشكل كبير وفعّال في البحث الدّلالي، وربمّا يرجع ذلك إلى اهتمامهم بالقرآن الكريم، والكثير من المسائل الشّرعية، فتجدهم قد تحدّثوا عن بعض ما تعلّق بالدّلالة من خلال البحث في غريب القرآن الكريم والسّنة النّبويّة الشّريفة وبعض مفردات اللّغة، إضافة إلى اهتمام طائفة منهم بكل ما يتعلّق بالمفردات والتّراكيب وما ينجُر عنها من معان، فقد بحث الأصوليّون في مسائل العموم والخصوص ومسائل النصوص المقيّدة والمطلقة ، وبحث فلاسفة المسلمين عن بعض أنواع الدّلالة كالعقليّة والدّلالة المنطقيّة وغيرها، إضافة إلى اهتمام لغويهم بمسائل التّرادف والاشتراك اللّفظي والتضّاد وكلُّها تصبُّ في صميم البحث الدّلالي »[12]، فكل هذا النتاج الفكري الذي أسهمت فيه الحضارات السّابقة ساهم بشكل فعّال في إرساء قواعد علم الدّلالة بشكله الحديث التي انتقل من مرحلة لأخرى ،والتي كان أهمها ما فعله ميشال بريال حين أقترح دخول هذا العلم ضمن الدّراسة اللّغويّة العلميّة.

2- أنواع الدّلالة :

لقد ميّز اللّغويون عموما وعلماء الدّلالة على وجه الخصوص بين أنواع متعددّة للدّلالة منها:

-الدّلالة الصّوتية: وهي تلك الدّلالة التي يؤثر اختلاف أو تبدّل أصواتها أو طريقة نطق أصواتها على المعنى أو هي: « التي تستمدّ من طبيعة بعض الأصوات ويظهر هذا في حالة إيثار صوت على آخر

[12] ينظر- أحمد مختار عمر- علم الدّلالة -ص 18-22

أو مجموعة أصـــوات على مجموعة أخرى في الكلام المنطوق به ومن مظاهر تلك الدّلالة نذكر النّبر الذي يغيّر الدّلالة حين يتغيّر موقعه في الكلمة وهو ما يوجد غالباً في اللّغة الإنجليزية التي يعبّر فيها بواسطة النّبر على الاسم وفي مواضع أخرى عن الفعل».[13]

وعليه فإنّ الدّلالة الصّـوتية تظهر بوضـوح في تغيير الأبنية الصّـرفية فكلّ زيادة في المبني يؤدّي إلى زيادة في المعنى.

–الدّلالة المعجميّة: أو ما يسـمّى بالمعنى الأسـاسي أو المركزي و يُقصـد بها حسـب هادي نهر كونها « دلالة اجتماعية تمثّل وحدانية المعنى وثبوت العلاقة بين الكلمة الدّال والمسمّى بها المدلول فكلُّ لفظ يقابل معنى مركزية أو مســمّى ثابت في المحيط الخارجي [14]»؛ أي أنّ « لكلّ كلمة من كلمات اللّغة دلالة معجمية أو اجتماعية تستقلّ عمّا يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغها من دلالات زائدة على تلك الدّلالة الأساسية، التي يطلق عليها الاجتماعية[15]».

لقد استعمل كلّ من هادي نهر وإبراهيم أنيس مصطلح الدّلالة المعجمية مقابلا لمصطلح للدّلالة الاجتماعية، وهي عند غيرهم كحلمي خليل لاتعدّ مرادفا لمفهوم واحد وإنّما تعتبر الدّلالة المعجمية دلالة الكلمة داخل المعجم، وتعتبر الدّلالة الاجتماعية دلالة الكلمة في الاستعمال [16]وهذا حتما

[13] ينظر – إبراهيم أنيس–دلالة الألفاظ –دت– مكتبة الأنجلو المصرية –ط2–1986–ص47 .

[14] ينظر– هادي نهرعلم الدّلالة التطبيقي – تقديم علي الحمد –دار الأمل – الأردن– ط1–2007م–ص 206–207.

[15] إبراهيم أنيس – دلالة الألفاظ– ص 48.

[16] ينظر– حلمي خليل – الكلمة دراسة لغوية معجمية – دار المعرفة الجّامعية – مصر– ط2– 1992م– ص 100.

موجود لكن ليس كل كلمات المعجم تستعمل في المجتمع باستعمالات أخرى، وعلى العموم فإنّ الدّلالة الاجتماعية أو المعجمية هي مجموعة الألفاظ أو الكلمات الأساسية التي نستخدمها للتّعبير عن والغابة والبيت بحيث تكون غالبا غير ثابتة.

–الدّلالة النّحوية :ويستعمل هذا النّوع من الدّلالة في التّخريج النّحوي للتراكيب والألفاظ، وأمّا مفهومه فيقصد به: « استخدام الألفاظ أو الصّور الكلامية في الجمل المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التّحليلي أو التركيبي [17]»؛ أو هو« الدّلالة المستمدّة من ارتباط الكلام بعضه ببعض بواسطة التّركيب الذي تخضع له أي لغة كالنّحو في الكلام العربي [18]».

وعلى هذا الأساس فإنّ الدّلالة النّحوية تتطّلب اتّباع نظام لغوي معيّن يؤهّلها لترسم المعنى المبتغى وهو ما يمكن أن نسمّيه في اللّغة العربية تتّبع معاني النّحو وهي الغاية التي بيّنها الجرجاني في نظريته المشهورة بنظرية النّظم.

– الدّلالة السّياقية: وهي التي تمكّن من تحديد معنى الألفاظ أو الكلمات في السّياقات المختلفة وهي عند هادي نهر « تحديد معنى الكلمة داخل السّياق الذي يحدّدها تحديدا دقيقا يمكن بواسطته أن تتعدّى اللّغة حدودها الدّلالية المعجمية المعروفة لتنتج دلالة جديدة [19]».

---

[17] فاضل مصطفي السّاقي – أقسام الكلام العربي من حيث الشّكل والوظيفة- تقديم تمّام حسّان- مكتبة الخانجي – القاهرة – مصر-1977م-ص 209 .

[18] السّيد العربي يوسف -محاضرات – الدّلالة وعلم الدّلالة – المفهوم والمجال والأنواع- موقع الألوكة الالكتروني – ص 07.

[19] ينظر – هادي نهر- علم اللّغة التطبيقي في الثرات العربي – ص 237

هذا النّوع من الدّلالة يظهر كثيرا في الكتب التي تهتمُّ بالألفاظ ومعانيها، وقد ظهر هذا النّوع من الدّلالة في كتب التّراث العربي وإن لم يكن بهذا المفهوم، فقد اعتمد عليه المفسّـــرون في ترجيح معاني الألفاظ والأصـــوليون في اســـتنباط الأحكام وهو عندهم ليس مرتبط بالكلمات فقط بل مرتبط كذلك بالتّراكيب فنجدهم يتحدّثون عن السّـــياق في الألفاظ وفي التّراكيب وعن أثر ذلك في المعنى، وقد تحدّث عنه الأوائل كذلك في كتب الوجوه والنّظائر ككتاب الدّمغاني وغيره، وهذا النّوع الدّلالي موجود كذلك في الكثير البحوث والدّراســـات الحديثة ومدرج ضـــمن النّظريات الدّلالية الحديثة.

إذن : يتّضـح من خلال ما سـبق أنّ للدّلالة أنواعا متعدّدة ذكرنا منها: الدّلالة الصّـوتية، والدّلالة الصّـــرفية، والدّلالة المعجمية، والدّلالة النّحوية، بالإضـــافة إلى الدّلالة السّـــياقية، ولكلّ نوع من تلك الدّلالات مميّزات وهذا راجع إلى طبيعة البحث ومجاله، وتجدر الإشـارة بنا هنا إلى أن نطرح تقسـيماً آخر للمعنى – الدّلالة – وهو التّقسـيم الذي لخّصـه منقور عبد الجليل عن أحمد عمر مختار فقسّـم المعنى إلى:

- **المعنى الأساسي أو التّصوري:** ويقصد به المعنى المفرد الذي تحمله الوحدة المعجمية.

- **المعنى الإضافي أو الثّانوي:** وهو المعنى الزّائد على المعنى الأساسي حيث يدرك من خلال سياق الجملة.

- **المعنى الأسلوبي:** وهو الذي يحدّد القيم التّعبيرية التي تخصّ الثقافة أو المجتمع.

- **المعنى النّفسي**: وهو الذي يعكس الدّلالات النّفسية للفرد المتكلّم.

– المعنى الإيحائي: وهو ذلك النّوع من المعنى الذي يتّصل بالكلمات ذات القدرة على الإيحاء نظراً لشفافيتها[20]».

ونستنتج من هذا التّقسيم أنّه متقارب إلى حدّ ما من التّقسيم الأول فنجد مثلا: أنّ المعنى الأساسي يتطابق مع الدّلالة المعجمية، وأنّ المعنى الثّانوي يتطابق مع الدّلالة السّياقية، بالإضافة إلى استعمال مصطلح المعنى كمقابل لمصطلح الدّلالة.

3– مباحثُ علم الدّلالة: لقد بحث الدّرس الدّلالي في العديد من القضـــايا التي تختصّ بالألفاظ ومعانيها ومن ذلك:

- **اللّغة**: «لقد بحث علم الدّلالة ابتداءا عن مسألة نشأة اللّغة وأصلها وهو ما نتج عنه ظهور ثلاثة أقوال مختلفة: فكان أوّلها الرأي التوقيفي الطّبيعي، وثانيها الرأي الاصطلاحي، وثالثها الرّأي الجامع بين هذه الأقوال؛ أمّا المرحلة المتقدّمة من البحث اللّغوي فكانت مرحلة منصبّة عن الدّراسة العلميّة للّغة باعتبارها منهجا وصفيا آنيا يدرس اللّغة من جانب بنيتها اللّغوية الدّاخلية ويعتبرها نظاما من الرّموز اللّسانية، أو مجموعة من الأصوات الدّالة [21]».

[20] ينظر–منقور عبد الجليل – علم الدّلالة أصوله ومباحثه في الثرات العربي –دراسةً – دت – إتحاد الكتّاب العرب – دمشق– 2001ص 65.

[21] المصدر نفسه –ص 56

وهو ما مكّن اللّسانين من تحديد وضع دقيق لوظائف اللّغة، وهي التي حدّدها ياكبسون في ستّة وظائف نقلها منقور عبد الجليل في كتابه: " علم الدّلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي" وهي :

– الوظيفة المرجعية: ما تنتجه اللّغة من إشارات في محتوىً معين قصد إيصاله للآخرين .

–الوظيفة التّعبيرية أو الانفعالية: وهي التي تشير فيها اللّغة إلى موقف المرسل من مختلف القضايا التي يتحدث عنها.

–الوظيفة الإنشائية: تظهر في اللّغة التي يتوجه بها إلى المخاطب قصد لفت انتباهه إلى أمر أو طلب منه القيام بعمل معين.

–الوظيفة الور ألسنية: وهي تعكس شعور المعبّر بنظام التّواصل وتتمحور حول اللّغة نفسها.

–وظيفة الاتصال: وهي تقوم على تعابير تتيح للمرسل إقامة الاتصال أو قطعه.

–الوظيفة الشعرية: وهي تتمحور حول اللّغة باعتبارها تحمل ظلالاً من المعاني والقيم الدّلالية [22]».

ونستنتج من هذا الطّرح أنّ موضوع اللّغة من أهمّ المواضيع اللّسانية على وجه العموم، ومن أهمّ المواضيع الدّلالية على وجه الخصوص التي حظيت بالعناية في الدّرس الدّلالي منذ البحث الأوّل الذي كان يهتمّ بأصولها ونشأتها مروراً بالمنهج الوصفي الآني الذي يعتبرها نظاما من الرّموز اللّسانية أو مجموعة من الأصوات الدّالة، فتقسيم ياكبسون لوظائف اللّغة بعد تطور البحث الدّلالي الذي صار يعتبر اللّغة خطابا دلاليا.

[22] منقور عبد الجليل – علم الدّلالة أصوله ومناهجه –ص 53-57 (بتصرّف).

–الدّال والمدلول: أو الصّورة الصّوتية والتّصور عند سوسير [23]، وهما من أهمّ الأبحاث الدّلالية التي تناولتها العديد من الدّراسات لما لهذا المبحث الدّلالي من ارتباط بالعديد من فروع العلوم الأخرى وفي هذا يقول منقور عبد الجليل: «من أهمّ القضايا الدّلالية التي تناولها علماء الألسنية والدلالة، مسألة الدّال والمدلول والعلاقة بينهما، كانت القضية في بداية طرحها في الدّرس اللّغوي، تقتصر على اللفظ والمعنى و باتّساع مجال علم الدّلالة أضحت المسألة تتعلق بالدّال والمدلول سواء أكان الدّال لفظاً أو غير لفظ، واللّغة في الأخير ما هي إلا علاقات تربط دالاّ بمدلوله، ضمن شبكة تنظيمية [24]».

لقد فرّق الدّارسون بين عنصري الدّال والمدلول لغاية توضيحية وإلا فإنّه لا يمكن تصور دّال من غير مدلوله ولا العكس ولا يمكن للمعنى أن يتّضح إلا من خلال الجمع بينهما، ومع اتّساع مجال الدّلالة لم يعدّ تقتصر قضية الدّال ومدلوله على الألفاظ فقط، بل شمل كل ماله علاقة تربط بينهما.

–التّغيّر الدّلالي: وهو الآخر مبحث دلالي مهم في البحث عن الألفاظ ومعانيها خصوصا مع تطوّر الألفاظ وتغير معانيها من حِقبة لأخرى مع مرور الزّمن وإن كانت أحيانا تحتفظ ببعض مدلولاتها كلفظة السّيارة التي كانت تدّل في القدم على معنى القافلة وهي الآن بمعنى المركبة، ونعني بالتّغير

[23] راجع – دي سوسيور– محاضرات في اللّسانيات العامة – تر : يوسف عازي و ومجيد النّمر– مؤسسة الطّباعة الجزائرية –ط1– ص 81 .

[24] منقور عبد الجليل – علم الدّلالة أصوله ومناهجه –ص 61.

الدّلالي كما جاء عند علي الخولي: « تغير معنى الكلمة على مرِّ الزمن بفعل إعلاءٍ أو انحطاطٍ أو توسّع أو انحسارٍ أو مجازٍ أو غير ذلك[25] ».

وهو عند فوزي عيســـى: « .. فرع من فروع الدّلالة يهتمّ بما يعتري الكلمة من تغيّر في معناها ممّا يساعدُ الباحث على فهم التّطور الحاصل في اللّغة [26]».

وهو عند منقور عبد الجليل: « تغيّر اللفاظ لمعانيها، ذلك أنّ الألفاظ ترتبط دلالتها ضـــمن علاقة متبادلة فيحث التّطور الدّلالي حدث تغّير في هذه العلاقة [27]». .

وعليه فإنّ التّغير الدّلالي أو التّطور الدّلالي هو الطّارئ الذي يقع على أحد مســتويات الكلمة وذلك بمرور الزّمن فيحدث تغّيراً في المعنى أو تقاربا فيه، وهذا راجع إلى وجود عوامل لغوية كالاقتراض اللّغوي، أو ككثرة الاستعمال التي ينجر عنها إبدال أو قلب في أحد حروف الكلمة، أو وجود عوامل غير لغوية تاريخية كانت أو اجتماعية.

-لهذا التّغير مظاهر متعدّدة نذكر منها:

[25] علي الخولي – معجم علم اللّغة النّظري -ص 250 ، نقلا عن طّارق بو لخاصيم – ظاهرة التغيّر الدّلالي للألفاظ- أطروحة دكتوراه – جامعة قسنطينة 1- دفعة 2018/2017-ص 43.

[26] ينظر فوزي عيسى – علم الدّلالة النظرية والتّطبيق – دت -دار المعرفة الجامعية -ط1- 2008م-ص 235.

[27] منقور عبد الجليل – علم الدّلالة أصوله ومناهجه – ص 70.

-توسيع الدّلالة وتعميمها: « وهي أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السّابق أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل، ومن ذلك إطلاق الطّفل لكلمة تفّاحة على كل الأشياء المستديرة المشابهة لها [28]».

- تخصيص الدّلالة : «وهو ما وضع في الأصل عاماً ثم خصّ في الاستعمال ببعض أفراده [29]»؛ أو هو: «تحويل الدّلالة من المعنى الكلّي إلى المعنى الجزئي أو تضيق مجالها وتقليله ومن ذلك تخصيص لفظة (حرامي) على السّارق وأصلها الأوّل نسبة إلى الحرام [30] ».

إذن :تخصيص الدّلالة أو تعميمها لا يتمّ إلا بمرور عامل الزّمن والذي بدوره تؤثّر فيه عوامل لغوية وغير لغوية مما يؤدّي بالمجتمع إلى استخدام بعض الألفاظ الجديدة وطرح أخرى ضمن نفس الدائرة اللّفظية أو مغايرة لها وبذلك تتوسّع مدلولات اللّفظ الواحد أو تنحصر.

- انتقال المعنى أو توضيح الدّلالة وهو: « انتقال للدّلالة المجرّدة إلى مجال الدّلالات المحسوسة الملموسة، فبعد أن كانت الدّلالة لا تدرك إلا بالعقل أصبحت ممّا يُرى ويُسمع، وهذا ما نجده غالبا عند الأدباء والشّعراء فقولهم كثير الرّماد كناية على الكرم [31]».

---

[28] أحمد مختار عمر- علم الدّلالة – ص 243-244.

[29] جلال الدّين السيوطي – المزهر في علوم اللّغة – تح : علي النجاوي وآخرون- منشورات المكتبة المصرية – بيروت-لبنان – ط2-ج1-ص 427.

[30] احمد مختار عمر -علم الدّلالة – ص 246-247.

[31] ينظر – إبراهيم أنيس – دلالة الألفاظ-ص 160-161 .

وهذا المظهر غالبا يســـوّي بين اللّفظين، فتجد اللّفظ الواحد يســـتعمل مجازا وحقيقة في التّراكيب المختلفة و لا يدرك إلا من خلال السّياق.

– انحطاط الدّلالة أو رقيّها: إنّ الألفاظ ومدلولاتها تخضـــع للعرف الاجتماعي الذي تســـتعمل فيه فارتفاعها ورقيها أو انخفاضـها وانحطاطها تمليه البيئة الاجتماعية التي تحدّد فيها معنى تلك الألفاظ وفي هذا السّـــياق يقول محمود الســـعران: « إنّ انحطاط الدّلالة نوع من التّغير في المعنى يصـــدق على الكلمات التي كانت دلالاتها تُعدُّ في نظر الجماعة (نبيلة) نسـبيّا ثم تحوّلت وصـارت دون ذلك ومن ذلك تهديد الخصـم لخصـمه بكسـر رجليه ولا يحدث في الواقع شـيء [32]»، ثمّ يضـيف « وأمّا رقي الدّلالة وارتفاعها فهو نوع من أنواع التّغير يُطلق على ما يُصـيب الكلمات التي كانت تُشـير إلى ثمّ صارت تدلُّ في نظر الجماعة على معان أرفع و أشرف[33]».

ونذكر من ذلك مثلا: كلمة الرّسول التي كانت تطلق على المبعوث أو ما يشبه في زماننا اليوم موزِّع البريد، ثم ارتقت في زمن البعثة للدّلالة على المبعوث من عند اللّه؛ وكذلك كلمة البيت التي انتقلت دلالاتها من التّعبير عنها بالمسكن المصنوع من الشَّعر والصّوف إلى المسكن الواسع متعدد الطّوابق.

وعليه فإن التّغير أو التطّور الدّلالي هو تغير يحدث على مستوى الكلمة بمرور الزّمن تتحكّم فيه عوامل لغوية أو غير لغوية، من مظاهره توسّع الدّلالة وتخصيها بالإضافة إلى انتقال المعنى و انحطاطه.

[32] محمود السعران – علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي –ص 280-281.

[33] المصدر نفسه – ص 282-283.

-**نظرية الحقول الدّلالية**: تعدُّ هذه النّظرية من أهمّ المباحث الدّلالية التي قامت بتصـــنيف الألفاظ والكلمات حسب انتماءاتها فجعلت حقلا خاصّا بالألوان وآخر خاصّا بالحيوان وغيرها، وتعرف على أنّها: «مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها [34]».

أمّا الحقل الدّلالي: « فتجده يتكوّن من مجموعة من المعاني أو الكلمات المتقاربة التي تتميّز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة ولذلك تكسبُ الكلمة معناها في علاقتها بالكلمات الأخرى لأنّ الكلمة لامعنى لها بمفردها بل إن معناها يتّحدد مع أقرب الكلمات إليها في إطار مجموعة واحدة [35]».ويفهم ممّا سبق أنّ الحقول الدّلالية نظرية اهتمّ بها الدّارس الدلالي قصد رصد الكلمات المتقاربة ذات المعنى المشترك في إطار معين سُمي بالحقل الدّلالي.

-لقد عالج البحث الدّلالي العديد من المســـائل المختلفة كان أهمها اللّغة، الدّال والمدلول، كما اهتمّ بالتّغير الذي يطرأ على الكلمات ضـمن ما سمّاه بالتطوّر الدّلالي، إضـافة الى حصـره للكلمات ذات المعنى المشـترك ضـمن الحقل الواحد فيما أطلق عليه نظرية الحقول الدّلالية، إلى جانب ذلك درس كل ماله علاقة بالكلمات أو الألفاظ من ترادفا فيما بينها أو تضـــاد أو اشـــتراك، ومع تطور هذا البحث اهتمّ هذا الأخير بدراسـة المعنى ضـمن نظريات حديثة كان أهمّها النّظرية الاشـارية والنّظرية السّـلوكية والنّظرية السّياقية التي تبلورت فيما بعد .

[34] أحمد مختار عمر – علم الدّلالة – ص 79.

[35] أحمد زكي – أصول تراثية في علم اللّغة – ص 294 نقلا عن حسين الهندي – ظاهرة التّغير الدّلالي في العصر الحديث – الجامعة الإسلامية – غزّة- فلسطين -دفعة 2018-ص 54.

الفصل الأوّل :

- مفهوم السّياق لغة واصطلاحا
- السّياق في التّراث العربي والفكر اللّغوي الغربي
- السّياق القرآني

1-مفهوم السّياق :

لغة : تعدّدّت معاني السّياق في المعاجم العربية على النّحو التّالي:

جاء في معجم مقاييس اللغّة لابن فارس قوله: « السّـــين والواو والقاف أصـــلٌ واحدٌ وهو حدُّو الشّيء، يقال ساقه يسوقه سوقاً ... والسّوق مشتقّة من هذا لما يُساق إليها من كلّ شيء ».[1]

وذكر ابن منظور قوله: « السّوقُ معروفٌ ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقاً وهو سائق وسوّاقٌ شدّد للمبالغة ... وسوّاق الإبل يقدّمها... وقد انساقت تساوقت إذا تتابعت وكذلك تقاودت فهي متقاودة متساوقة وفي حديث أم مبعد: فجاء زوجها يسوق أعنُزاً ما تَساوقٌ أي ما تتابعُ، و المساوقة المتابعة كأن بعظها يسوق بعضاً ».[2]

وأما الزّمخشري فجاء في معجمه قوله: « ساق النّعم فانساقت ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً وساق إليها المهر ... وانساقت الرّيح السّحابُ وهو سوق الحديث أحسن السّياق وإليك ساق الحديث وهذا الكلامُ مساقه كذا وكذا وجئتك بالحديث على سوقه أي على سرده ».[3]

[1] أحمد بن فارس – مقاييس اللّغة- تح: عبد السّلام هارون- دار الفكر- بيروت- دط-1979م-ج3-ص 177.

[2] ابن منظور- لسان العرب- دت- دار صادر- بيروت- لبنان- ج10-ص 166.

[3] الزّمخشري – أساس البلاغة – ط1- ص 484.

وجاء معنى هذه الكلمة في المعجم الوسيط على أنّ: « السياق – المهرُ- وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه ... ويقال هو في السّياق أي في الاختصار».[4]

من خلال سردنا للتّعريف اللّغوي للسّياق فإنه يظهر أن جلّ معانيها تدلُّ على التّتابع والاتصال والتّسلسل، ويبدوا أنّ أقرب التّعاريف الموضّحة للسّياق هي ما جاء في معجمي أساس البلاغة وما جاء في المعجم الوسيط.

اصطلاحا : إنّ البحث عن المفهوم الاصطلاحي للسّياق يجعلنا نقف عند عدد كبير من التّعريفات وذلك راجع إلى استخداماته المتّعدّدة والمختلفة في كثير من الحقول المعرفية والعلوم، إضافة إلى ذلك فلا يمكن تقديم تعريف دقيق للسّياق وهذا ما ذهب إليه أحد الباحثين [5] ، وعلى هذا فقد تعددّت تعاريف السّياق عل النّحو التّالي:

أ- عند الدّراسات العربية والإسلامية: نجد السّلجماسي[6] يعرّفه بقوله: «هو ربط القول بغرض مقصود على القصد الأوّل».[7]

[4] إبراهيم أنيس و آخرون- مجمع اللّغة العربية – مكتبة الشّروق الدّولية – ط4- ص 465.

[5] ينظر- جون لاينز- اللغة والمعنى والسّياق- تر: عبّاس صادق الوهاب – دار الشؤون الثّقافية العامة -ص 243.

[6] هو عبد الواحد بن أحمد بن محمّد بن الحسين ، الحسني السِجلماسي المرّاكشي ولد – 12 رمضن 933 وتوفي في 25رجب 1003هـ مفتي مراكش وأحد جهابذة أهل الحديث من مؤلفاته : نبذة مختصرة من نكث السيوطي – والإلمام ببعض ما لقيته من علماء الإسلام – ينظر- طرر على ألفية ابن مالك السجلماسي – تح مصطفى لغفيري- ص17و21 (كتاب الكتروني).

[7] السجلماسي- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع- تح : علاّل الغازي-مكتبة المعارف- الرّباط- م المغربية -ط1- 1980م-ص 188.

ويعرّفه ابن دقيق العيد بقوله: « أما السّـــياق والقرائن فإنهّا الدّلالة على مراد المتكلّم من كلامه». [8]

الظّاهر من خلال هذين التّعريفين أنهّما يشيران إشارة واضحة إلى السّياق الخارجي أو ما يصطلح عليه بالسّياق المقامي.

ويعرّفه فهد الشّتوي في رسالته " دلالة السّياق وأثرها في توجيه المتشابه اللّفظي" على أنّه :« الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولاً عليه بلفظ المتكلّم أو أحواله أو أحوال الكلام أو المتكلّم فيه أو السّامع». [9]

ويعرّفه إبراهيم فتحي على أنّه: «بناءٌ كاملٌ من فقراتٍ مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزاءه؛ أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتّلو مباشرة فقرة أو كلمة معيّنة [10]».

الظّاهر من خلال هذين التّعريفين أنّ التّعريف الأول وهو تعريف الشّـــتوي أشمل من التّعريف الثّاني لاحتوائه على الجانب الدّاخلي والخارجي للسّـــياق، وهو ما يجعل السّـــياق أكثر وضـــوحا، عكس التّعريف الثّاني الذي اقتصر إلى جانب واحد للسّياق وهو السّياق الدّاخلي – اللّغوي.

[8] ابن دقيق العيد- إحكام الأحكام- تح: أحمد شاكر- عالم الكتب-ط2-ج2-21.

[9] فهد الشتوي- دلالة السّياق وأثرها في توجيه المتشابه اللّفظي في قصّة سيدنا موسى – ع السّلام -رسالة ماجستير- جامعة أم قرى 2005-ص 29.

[10] إبراهيم فتحي- معجم المصطلحات الأدبية- المؤسسة العربية للنّاشرين المتّحدين- ط1- 1986م-ص 201.

ولعلّ تعريف إبراهيم أصبان كان أكثر شمولا ووضوحا فنجده يعرّفه بأنّه: « مجموعة ما يحيط بالنّص من عناصر مقاميّة أو مقالية توضح المراد وتبيّن المقصود [11]».

ب- السّياق في الدّراسات اللّغوية الغربية :

يقابل السّياق في الدّراسات اللّغويّة الغربية المصطلح الأجنبي (contexte) ويقصد به :«المحيط اللّغوي الذي تقع فيه الوحدة اللّغوية سواءً أكانت كلمة أو جملة في إطار العناصر اللّغوية وغير اللّغوية».[12]

كما أنّنا نجد مفهوما آخر للسّياق وهو ما تحدّث عنه أولمان (Stephen Ullmann) حيث ذكر أنّ: « الكلمة ... قد استعملت حديثاً في معان مختلفة والمعنى الوحيد الذي يهمّ مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التّقليدي أي: النّظم اللّفظي للكلمة وموقعها من ذلك النّظم بأوسع معاني هذه العبارة؛ إنّ السّياق على هذا التّفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السّابقة واللّاحقة فحسب، بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل على كل ما يتّصل بالكلمة من ظروف وملابسات ؛ والعناصر غير اللّغوية المتعلّقة بالمقام الذي تطلق فيه الكلمة ».[13]

---

[11] إبراهيم أصبان- السّياق بين علماء الشريعة والمدارس اللّغوية الحديثة – مقال بمجلة الإحياء – الرّابطة المحمّدية المغربية - مج. 2007، ع. 25،ص52.

[12] كورندS. conrad . kleines worterbuch sprachwissenschaftlicher termini نقلا عن ردّة الله الطحلي – دلالة السّياق – جامعة أم القرى – م ع السّعودية – مج 1- 1418هـ- ص 46.

[13] استيفن أولمان- دور الكلمة في اللّغة- تر: كمال بشر- دار غريب- القاهرة-مصر-ط2-1997م-ص 68.

وعلى هذا فإنّ كلاً من التّعريفين السّابقين يشيران إلى الظروف أو ما يعرف بالقرائن التي يقع فيها السّياق مقاميّة كانت أو مقالية والتي بدورها تتحدّد المعنى المقصود وهذا الطّرح قريب من طرح هالدي (Michael Halliday) في تعريف السّياق حيث ذكر بأنّه : « النّص الآخر المصحاب للنّص الظّاهر وهو بمثابة الجسر الذي يربط التّمثيل اللّغوي بالبيئة الخارجية ».[14]

وجاء تعريفه في قاموس اللّســـانيات على أنّه : «مجموعة الظّروف الاجتماعية الممكن أخذها بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السّلوك الاجتماعي والسّلوك اللّغوي ».[15]

وعليه فإنّ السّـــياق في علم اللّغة الحديث نجده يقابل المصـــطلح الأجنبي Contexte ونعني به مجموعة الوحدات اللّغوية التي تقع في محيط لغوي معيّن بحيث تكون لها روابط توضيحيّة تمكن الدّارس من فهم مضامينها تكون هذه الرّوابط داخلية أو خارجية.

[14] يوسف نور عوض- علم النّص ونظرية التّرجمة- دار الثّقة – مكة المكرّمة- م ع السّعودية- ص 29.

[15] Jean Dubois et autres dictionnaire de lingustique – p120 نقلا عن: طارق بولخاصيم-ظاهرة التّغير الدّلالي في السّياق القرآني- أطروحة دكتوراه- قسم اللغة العربية جامعة قسنطينة1- دفعة 2017-2018- ص 88.

2.السّياق في التراث العربي وفي الدّرس اللّغوي الحديث:

1.2 السّياق في التّراث العربي:

1.1.2. السّياق عند النّحوين:

حاز موضوع السّياق على مساحة كبيرة عند النّحاة فكان له الدّور البارز في تقعيد الأحكام النّحوية فهو يعدّ من أهمّ الوسائل المساعدة في كثير من مسائل التّخريج النّحوي التي غالباً ما تُرجح بواسطته، وتجدر الإشارة بنا هنا إلى ذكر بعض مواقف النّحوين التي أظهروا فيها اعتيادهم على السّياق فنجد الخليل بن أحمد الفراهيدي يسّجل له تلميذه سيبويه في كتابه الكتاب أحد أهمّ الإشارات السّياقية وذلك: «حين سأل شيخه الخليل عن قوله عزّوجل: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُومِنُونَ ﴾، ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك لعلّ لا يفعل؟ ؛ فقال : لا يحسن ذا في ذا الموضع ، إنمّا قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ ثم ابتدأ فأوجب {فقال}:﴿إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُومِنُونَ ﴾ سورة الأنعام –الآية 110– كان ذلك عذرًا لهم؛ ثم عقّب– أي الخليل– على قرآءة أهل المدينة الذين يقولون " أنّها" بقوله: هي بمنزلة قول العرب ائت السوق أنّك تشتري لنا شيئا ، أي : لعلّك، فكأنّه قال: لعلّها إذا جاءت لا يومنون »[16]، وهنا إشارة واضحة من الخليل لاعتياده على السّياق في تخريج المعنى.

[16] ينظر– عثمان بن قبر– الكتاب– تح: عبد السّلام هارون– مكتبة الخافنجي– القاهرة – مصر–1992م–ج3–ص 123.

كما أنّنا نجد سيبويه هو الآخر يوّظف السّياق في كتابه " الكتّاب " وذلك من خلال معرض حديثه عن مسألة تركيب الألفاظ مع بعضها البعض في باب الاستقامة من الكلام والإحالة عليه فقال:

« فمنه مستقيم حسنٌ ، ومحالٌ، ومستقيم كذبٌ، ومستقيمٌ قبيحٌ، وما هو محالٌ كذبٌ.

فأمّا المستقيم الحسنُ فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غداً.

وأمّا المحال: فأن تنقض أوّل كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمس.

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه ..

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللّفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيتُ، وكي زيدا يأتيك، وأشباه هذا.

وأمّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس [17]».

لقد تطرّق سيبويه إلى معنى جوهري للسّياق وهو أنّه راعى ارتباط الكلام من جهة والمعنى من جهة أخرى، فالأمثلة التي ذكرها نجدها أحيانا تتوفّر على السّياق النّحوي الصّحيح لوحدها وهذا موجود في الكلام المستقيم الكذب، ونجدها في أحيان أخرى تتوفّر على الدّلالة لوحدها كما هو الحال في الكلام المستقيم القبيح دون ما تركيب، والحالة الأخيرة من الضّرب الكلامي هي توافق المعنى النّحوي مع الدّلالة وهذا النّوع هو ما يمكّن السّياق من توضيح المعاني بشكل أدق، غير أنّ بعض هذه

[17] عثمان بن قبر- الكتاب- ص 24.

الأقسام يمكنها أن تتغير من موضع لآخر فمثلا يمكن للكلام المستقيم الكذب أن يصبح مستقيما حسنا، وذلك إذا قصد المتكلّم أو فهم من خلال كلامه أنّه يقصدُ المجاز، وذلك كله يرجع إلى فهم السّياق لكن ما أراده سيبويه هنا الحقيقة وليس المجاز.

وقد علّق ردّة الله الطّلحي صاحب أطروحة" دلالة السّياق" على كلام سيبويه بقوله : « ويلاحظ أنّ مذهبا يتّكئ على معيار الصّدق على معيار الصّدق والكذب يفترضُ أن يجمع حسن التّركيب مع حسن التّواؤم مع الواقع الخارجي (الموقف) [18] » .

وفي ذات الصّدد نجد ابن فارس هو الآخر يتحدّثُ عن تقسيم الخبر بناء على مقولات الصّدق والكذب إلى: «واجب وجائز و ممتنع، فالواجب مثل " النّار محرقة "،و الجائز مثل " لقي زيد عمرا"، والممتنع مثل " حملت الجبل [19]» وهذا التّقسيم الذي ذهب إليه ابن فارس كان استنتاجا عقليا ومنطقيّا خاصة إذا أخذنا الخبر الممتنع الذي مثّل عليه بقوله: حملت الجبل فلا يتصور أن يحمل أحد الجبل إلا على سبيل المجاز، لذلك جعله من الكلام الممتنع الذي يفهم بحسب السّياق الوارد فيه فلو كان أحد مثلا في ضَيقٍ وقال لآخر حملت الجبل أي هموما كالجبل لصار كلامه جائزا.

والملاحظ من خلال تقسيم كل من سيبويه وابن فارس لأضرب الكلام أنّهما يشيران في هذا التّقسيم إشارة واضحة إلى السّياق، فهما يوضحّان بشكل كبير السّياق اللّغوي الذي يحدثه التّركيب الذي بدوره يؤثّر في المعنى ويحدث خللاً فيه، فالعناصر اللّغوية التي تكون منسجمة في التّركيب الواحد يكون

[18] ردّة الله الطّلحي- دلالة السّياق-ج1- ص 54.

[19] ابن فارس – الصّاحبي في فقه اللّغه العربية – تح:عمر الضبّاع- مكتبة المعارف – بيروت-لبنان- ط1-1993-ص183.

السّياق فيها واضحا على عكس العناصر اللّغوية التي كانت غير منسجمة كالمثال السّابق في الكلام المحال الذي ورد فيه المثال التّالي: سآتيك أمس، وآتيتك غدا فهذا التّركيب أحدث خلالا في السّياق اللّغوي فلا يجوز أن يأتي الفعل المضارع مع الزّمن الماضي كما لا يصحّ أن يأتي الفعل الماضي مقرونا مع الزّمن المستقبل، إلاّ إذا عبّر بالماضي عن المستقبل كقوله عزّوجل﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ سورة النّحل – الآية 01.

وقد ذهب ابن السّراج هو الآخر في نفس الصّدد خلال حديثه عن السّياق وذلك في كتابه " الأصول في النّحو " فقال: « اعلم أنّ الكلام يجيئ على ثلاثة أضرب: ظاهر لا يُحسن إضماره، ومضمر مستعمل إظهاره، ومضمر متروك إظهاره، فالأوّل: الذي لا يحسن إضماره ما ليس عليه دليل من لفظ و لا حال مشاهدة، فلو قلت زيداً وكان مرادك كلِّم زيداً فأضمرت ولم يتقدّم ما يدلُّ على كلم، ولم يكن إنسان مستعداً للكلام لم يجز، والأمر كذلك مع بقيّة الأفعال، والثّاني: المضمر المستعملُ إظهاره ففيه الجواز إذا علمت أنّ الرّجل مستغن عن لّفظك لما تضمره، ومن ذلك ما يجيئ في الأمر والنّهي، وهو أن يكون الرّجل في حالة ضربٍ فتقول: زيداً ورأسه وما أشبه ذلك، وتريد بذلك اضربْ رأسه؛ وقولك في النّهي الأسد الأسد، وتقصد نهيك لأحدهم عن الاقتراب من الأسد، هذا الاضمار أجمع في الأمر والنّهي لكنّه يجوز مع المخاطب ولا يجوز مع الغائب [20] ».

[20] ابن السرّاج- الأصول في النّحو- تح: عبد الحي الفتلى- مؤسسّة الرّسالة – بيروت-ط1-1996م-ج2-ص 247.

لقد تحدّث ابن السّراج عن السّياق من خلال ذكره لحالات الاضمار التي تستوجب مراعاة المخاطب وحالته، وتلك الحالات تكون: إمّا غير جائزة وهي الحالة التي يكون فيها الكلام ظاهر ولا يحسن إضماره، وإما جائزة في حالة الكلام المضمر المستعمل جوازا مع المخاطب، وهذا الاضمار يُمليه السّياق الواقع فيه الذي يؤدي إلى إفهام أو غموض لدى المتلّقي (المخاطَب).

وممّا جاء ذكره عن السّياق لدى النّحويين نذكر: ابن الأنباري الذي نجده هو الآخر يتحدّث عن السّياق، وذلك من خلال حديثه عن المعاني، فذكر في كتابه الأضداد: « أنّ كلام العرب يصحّح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب إلاّ باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللّفظة على المعنيين المتضادّين، لأنهّا يتقدّمهما ويأتي بعده ماي دلُّ على خصوصيّة أحد المعنين دون الآخر، ولا يُراد بها في حال التّكلم والإخبار إلا معنىً واحد، فمن ذلك قول الشّاعر :

كلُّ شيءٍ ماَ خَلاَ المَوْتَ جَلَلْ *** والْفَتَى يَسْعَى وَيُلهيِه الأمَلْ [21]

فدلّ ما تقدّم قبل ((جلل)) وتأخره بعده على أنّ معناه: كل شيء ما خلا الموت يسيرٌ؛ ولا يُتوهّم ذو عقلٍ وتمييز أنّ ((جلل)) هاهنا معناه ((عظيم)).

ومن ذلك أيضا قوله عزّوجل: ﴿ٱلذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ أراد : الذين يتيقّنون ذلك، فلم يذهب وهْمُ عاقل إلى أنّ الله عزّوجلّ يمدحُ قوما بالشّك في لقائه؛ وقال تعالى حاكيّا عن فرعون في

[21] نسبه ابن منظور – للبيد: راجع لسان العرب- ج4-ص 120وذكر ابن الانباري أنّه ليس في لاميّته -راجع: ابن الانباري- الاضداد- ص02.

خطابه لموسى – عليه السلام : ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُوراً﴾ سورة الإسراء – الآية 101؛ وقال تعالى حاكيا عن يونس – عليه السلام : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾، فهنا أراد بمعنى رجا ذلك وطمع فيه ولا يقول مسلم إنّ يونس تيّقن أن الله لا يقدر عليه »[22] .

ففي ما ذكر ابن الانباري وشرح من أمثلة توظيف صريح منه للسّياق، فلو نأخذ مثلا: البيت الشّعري نجد علاقة السّياق اللّغوي قائمة على التّقديم والتّأخير وهي من عناصر التّركيب الموضّحة لمعنى السّياق، وأما لو تأمّلنا في الآيات فنجده كذلك يتحدّث عن السّياق من خلال ضربه لأمثلة الظّنّ في القرآن الكريم والتي تغيّر معناها من سياق لآخر فانتقلت من معنى اليقين من ملاقاة الله بالنّسبة للمؤمنين وهو ما يتناسب مع سياق المدح لهم إلى معنى الشّك في أمر موسى – عليه السلام– مع فرعون، إلى معنى اليقين مرّة أخرى مع ما حصل مع نبي الله يونس – عليه السلام– الذي حاشاه أن يشكّ في قدرة الله عليه، لذلك وجدنا ابن الانباري قد تحدّث عن السّياق من خلال ما فصّله في الأمثلة السّابقة.

ومن النّحوين الذّين تحدّثوا عن السّياق نذكر: ابن جنّي وهو من النّحوين الذين وظّفوا السّياق، فتجده يعقد في كتابه الخصائص بابا يسمّيه " باب في أنّ المحذوف إذا دلّت عليه كان في حكم الملفوظ به "، فيشرح هذا البّاب بالأمثلة قائلا: « من ذلك أن ترى رجلا قد سدّد سهما نحو الغرض ثم أرسله

[22] ابن القسام الأنباري –الاضداد– تح محمّد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصريّة– بيروت – لبنان– 1987م– ص02-03.

فتسمع صوتا فتقول: القرطاس والله، أي: أصاب القرطاس فـ(ـأصاب) الآن في حكم الملفوظ البتّة، وإن لم يوجد في اللّفظ، غير أنّ دلالة الحال عليه نابت مناب اللّفظ به، فصارت شهادة الحال بالفعل بدلا من اللّفظ به ». [23] ؛ ومن هنا نفهم من كلام ابن جنّي أن المتكلّم أحيانا يعمد إلى حذف بعض العناصـــر الموجودة في التّركيب ويترك قرائن دالة على ذلك وهذا بناءً على علمه المســـبق بأنّ المتلقي سيراعي سياق الحال وهو في هذا المثال الفعل "أصاب" الذي يتناسب مع التّركيب، وقد مثّل ابن جني لهذا النّوع من السّياق – سياق الحال- بقول الشّاعر:

« تَقُولُ- وَصَكّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِها- *** أَبَعْلِيَ هَذَا بالرحَى المتقَاعِسُ [24]!

فلو قال حاكيّاً عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس- من غير أن يذكر صـكّ الوجه- لأعلمنا بذلك أنّها : كانت متعجّبةً منكرة، لكنّه لـــــــــمّا حكى الحال فقال: (وصكّت وجهها) عُلم بذلك قوّة إنكارها، وتعاظم الصّورة لها، هذا مع أنّك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لّها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل: ليس المخبرُ كالمعاين، فلو لم ينقل إلينا الشّـــاعر حال هذه المرأة بقوله: "وَصَـــكّتْ وَجْهَهَا " لم نعرف حقيقة تعاظم الأمر لها، وليســـت كل حكاية تُروى لنا و لا كلّ خبر ينْقل إلينا يشفع به ».[25]

[23] أبو الفتح عثمان بن جنّي- الخصائص – تح: محمّد علي النّجار- دار الكتب المصرّية -المكتبة العلميّة-ج1-2006م-ص 284.

[24] هذا البيت لهذلول بن كعب العنبري- راجع: ديوان الحماسة لابن تمّام-ج2-ص 696.

[25] عثمان ابن جنّي- الخصائص- ج1-ص245.

لقد شـرح لنا ابن جنّي القرينة الحالية في هذا البيت الشّـعري من خلال كشـف حال المرأة التي حكى بعلها عنها تعاظم أمرها من خلال توظيفه لصـــكّ الوجه لها وهي من القرائن الحالية التي كشـــفت حكاية حال المرأة.

لقد وظّف ابن جّني مصطلحات قريبة في معناها ممّا يوّظفه اليوم علم اللّغة الحديث، فحكاية الحال أو دلالة الحال في مضـمونها المشروحة عند ابن جنّي من خلال الأمثلة قريبة جدّا مما اصـطلح عليه لاحقا في علم اللّغة الحديث سياق الحال.

بالإضـافة إلى ما ذكرنا من عيّنات عن السّـياق عند النحاة أمثال: سـيبويه، ابن فارس، ابن الأنباري، ابن جنّي وغيرهم ممن تحدّث عن هذا الموضـوع، فإنّ ظهور السّياق عند اللّغوين كان حاضـرا في الكثير من كتب الأوائل، وفي هذا يقول هادي نهر: « لقد ظهر السّـياق عند اللّغويون في أكثر نشـاط من الأنشـــطة التي دأب العرب الأوائل على القيّام بها، ولعلّ من بينها: تلك المصـــنّفات التي كُتبت في النّوادر واللّهجات واللّحن وغريب القرآن، وغبر تلك الصّـــنوف التي تدلُّ على إدراك اللّغوين العرب الصّائب إلى أنّ العمل المعجميّ إنمّا هو رصد لغة في حركتها الاجتماعية بملاحظة السّياق الذي تجري فيه، فتنوع اسـتعمالات الكلمة، وتعدّدّ أبنيتها قياسـا على وظيفتها السّـياقية وطبيعة مسـتعمليها، وحاجتهم ومقاصدهم كلها تستند إلى سياق محدّدٍ ومقام يحيط بها، ويوجّه استعمالها [26]».

[26] هادي نهر- علم الدّلالة التّطبيقي في التراث العربي – ص 285.

وهو ما يؤكّد أهمية هذا الموضـوع عند لغويّينا ومدى اهتمامهم به، لذلك تجد أكثرهم يوظّفه أو يشـير إليه أو يتحدّث عنه في كتابه ويشرحه في جملة من الأمثلة كالآيات القرآنية والأبيات الشّعريّة.

2.1.2 السّياق عند البلاغيّين:

إنّ الحديث عن السّـــياق لدى البلاغيّين يذهب بنا إلى التذّوق الفنّي الذي راعاه علماء البلاغة في وضع كلماتهم وجملهم وعبارتهم الموضع الذي يتناسب مع المقام المناسب والحال المناسبة، « فالبحث في السّياق لدى البلاغيين يختلف لدى سواهم من علماء اللّغة، ومردُّ ذلك الاختلاف راجع إلى طبيعة دراســة كلٍّ منهم للنّصــوص، فبينما كان هاجس أولئك في النّص هو المعنى، كان هاجس البلاغيّين البحثُ عن جمال المعنى وبيان التّفاعل فيه ».[27]

لقد انطلق البلاغيّون من فكرة أنّ " لكل مقام مقال" واســتخدموها في كتبهم فحذفوا لما رأوا وجوب الحذف، وقدّموا وأخروا، وأطنبوا وأوجزوا تبعاً لذلك مراعاة لحال المخاطبين والمقام المناسب لذلك

يقول الجاحظ: « ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازي بينها وبين أقدار المســتمعين، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما ولكلٍّ من ذلك مقاماً ».[28]

[27] محمّد المهدي – السّياق في كتب التّفسير الكشّاف وابن كثير نموذجا- رسالة ماجستير- جامعة حلب-سوريّة- ص 82.

[28] أبو عثمان الجاحظ- البيان والتّبين- تح : عبد السّلام هارون- مكتبة الخانجي – القاهرة -مصر ج1- ص 138-139.

وفي ذات الصّـدد نجد التّفتازاني[29] ، هو الآخر يتحدّث عن المقام بقوله: «هي مطابقة لمقتضـى الحال مع فصـــاحته، والحال هو الأمر الدّاعي للمتكّلم أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدّي به أصـــلُ المراد خصوصيّة ما، وهو مقتضى الحال، مثلا: كون المخاطب منكراً للحال، حالٌ يقتضي تأكيد الحكم، والتّأكيد مقتضى الحال، وقولك إنّ زيداً في الدّار مؤكّدا للكلام بمقتضى الحال».[30]

ونجد بلاغيّا آخر يتحدّث عن السّياق من خلال قرينة الحال وما يقتضيه المقام من كلام، ألا وهو ابن طباطبا حيث يقول :« إنّ لحســن الشّــعر وقبول الفهم إيّاه علّة أخرى وهي موافقته للحال التي يعدّ معناه لها؛ كالمدح في حالة المفاخرة، وحضـور من يكبت بإنشـاده من الأعداء، ومن يسـير به الأولياء وكالهجاء في حالة مباراة المهاجى، والحطّ منه من حيث ينكى في إسماعه له ».[31]

فهنا يتحدّث ابن طباطبا عن السّـياق من حيث توظيف الجمل والعبارات التي يكون لها أبعادا دلالية إذا راعت حال المخاطبين، و لا يكون لها أي معنى إذا لم تراع السّياق المناسب لها وذلك بأن يتناسب الغرض مع السّياق المناسب مراعاة للحال.

ومن حديث البلاغيين عن السـيّاق نجد في المقابل كذلك أصـحاب نظرية النّظم قد أولوا هذا العلم عناية فائقة، كيف لا ؟ وهم درسـوه دراسـة قرآنية تمكّنهم من اسـتخراج مواضـع الإعجاز فيه، ومن

[29] هو سعد الدّين بن مسعود، فخر الدّين عمر بن الله التّافتزانيّ (722هـ-792) ولد بتفران وهي منطقة تابعة لخرسان، إمام في البلاغة والمنطق والفقه والأصول.

[30] التفتازاني- شروح التّلخيص مع مجموعة رسائل- دار الكتب العلميّة – بيروت -لبنان- مج1-ص 122.

[31] ابن طباطبا -عيّار الشعر-تح: عبّاس عبد السّتار-دار الكتب العلميّة-بيروت-لبنان- ط2-2005م-ص22.

هؤلاء نذكر عبد القاهر الجرجاني الذي كان من السبّاقين في تحديد أهميّة السّياق، فتجده يشير من خلال نظريّته إلى قضيّة مهمّة وهي وجوب ارتباط الألفاظ المجرّدة بالسّياقات اللّغويّة المناسبة لها، أي أنّ تلك الألفاظ لا يكون لها أي معنى مفيد أو أي دلالة واضحة إذا استعملت مجرّدة (المعنى المعجمي لها)، وتكون لها إفادة مبينة ومعلم واضح إذا استعملت في مقامها المناسب (المعنى السّياقي) الذي لابدّ أن يراعى فيه مقتضى الحال.

ومع حديثنا على نظرية النّظم لابد لنا أن نذكر آراء بعض البلاغين الذين تحدّثوا عنها، فكانت مجهوداتهم منصبّة في الدّراسة السّياقية، إذ تجدر بنا الإشارة هنا أن نتحدث عن الخطّابي الذي رأى في كتابه " بيان الإعجاز" أن: « القرآن الكريم صار معجز لأنّه جاء بأفصح معاني الألفاظ في أحسن نظم التّأليف مضمّنا أصحّ المعاني »[32] ؛ هذا عن الإعجاز القرآني ونظمه أمّا عن البلاغة فبيّن عمودها بـ «وضع كل نوع من الألفاظ التي يشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه:

- إمّا تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام.

-وإمّا ذهاب الرّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة [33]».

[32] الرّماني- الخطّابي- الجرجاني- ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن-تح: محمد خلف الله ومحمّد زغلول-دار المعارف المصريّة-ط3- ص27.

[33] المصدر نفسه-ص29.

وعلى هذا فإنّ الخطّابي قد وضّح كغيره من أصحاب نظرية النّظم نقطة مهمّة في السّياق، وهي وضع الألفاظ موضعها المناسب الذي يقتضيّه علم النّحو ويقصد هنا السّياق اللّغوي الذي لابدّ فيه من اتّباع نظام معيّن حتّى لا يفسد المعنى وحتّى لا يذهب جماله الفنّي.

وممّا تحدّث عنه البلاغيون عن السّياق فيما تعلّق بنظرّية النّظم نجد القاضي عبد الجبّار[34] يبرز دور السّياق وكيف للكلام أن ينتظم فيه، وذلك خلال حديثه عن الفصاحة التي هي بالنّسبة إليه حكم جمالي فنّي مرادف للبلاغة فيقول: « اعلم أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنّما تظهر بالضّم على طريقة مخصوصة، ولابدّ مع الضّم من أن يكون لكلّ كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصّفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضّم، وقد تّكون بالإعراب الذي له مدخل فيه وقد تّكون بالموقع ... فعلى الوجه الذي ذكرناه إنّما تظهر مزيّة الفصاحة، بهذه الوجوه دون ما عداها ».[35]

وقد علّق محمّد مهدي رفاعي صاحب رسالة " السّياق في كتب التّفسير" على قول عبد الجبّار بقوله:

« قد وضع عبد الجبّار هنا مفهوم النّظم بأنّه : عبارة عن ضمّ الكلمات على نحو معيّن مع مراعاة أبواب النّحو المختلفة، ثم أشار إلى السّياق من كل عناصر الجملة التي تظهر الفصاحة ».[36]

[34] هو عبد الجبّار بن أحمد أبو الحسن الهمذاني الأسد أبادي، عالم أصوليٌّ وشيخ المعتزلة في زمانه، وُلّي القضاء بالرّي ومات فيها، من تصنيفاته: لسان الميزان- الخلاف والوفاق.

[35] القاضي عبد الجبّار-المغني في أبواب العدل والتّوحيد-تح: مخضر حمّد نبها-دار الكتب العلميّة-بيروت-لبنان-ج16- ص189-190.

[36] ينظر- محمّد رفاعي-السّياق في كتب التّفسير-ص 97.

وفي هذا الجانب أي السّياق والبلاغة وارتباط ذلك كلّه بالنّظم، لابد لنا أن نستشهد بقول عبد القاهر الجرجاني الذي وظّف تعريفا جامعا للنّظم فقال: « اعلم أن ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو فتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك فلا تحل شيء منها ».[37]

من خلال تعريف عبد القاهر للنّظم يتّضح أنّه يوظّف عبارات تراعي ما يعرف بالسّياق اللّغوي، فاتّباع أبواب النّحو عدم الزّيغ عنها تذهب بنا إلى وضع التّركيب اللّغوي الصّحيح، كما أنّه «كثيرا ما يستخدم مصطلحات قريبة جدّا من مفهوم السّياق كمصطلح النّظم ، التّركيب، الرّصف، النّسق كلّها قريبة[38]».

وتجده في موضع آخر يتحدث عن أهميّة السّياق اللّغوي ودوره في إداء المعنى قائلا: « ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجرها مما يُفرَدُ فيه اللّفظ بالنّعت والصّفة، وينسبُ فيه الفضلُ والمزيّةُ إليه دون المعنى ... وإذا كان هذا كذلك، فينبغي أن يُنظر إلى الكلمة قبل دخولها في التّأليف، وقبل أن تصير إلى الصّورة التي بها يكون الكَلِمُ إخباراً وأمراً ونهياً ... ، وتؤدّي في الجملة معنىً من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضمّ كلمة إلى كلمةٍ، وبناء لفظة على لفظة ».[39]

[37] عبد القاهر الجرجاني-دلائل الإعجاز-تح: محمود شاكر-مكتبة الخانجي ومطبعة المدني-ص81.

[38] ينظر-محمّد رفاعي - السّياق في كتب التّفسير-ص99.

[39] عبد القاهر الجرجاني-دلائل الإعجاز-ص 44.

ويمكننا القول هنا أنّ الدرس البلاغي عموماً و نظريّة النّظم على الخصوص قد حملت في طياتها عناصر سياقية مهمّة، بل قد استعملت السّياق ووظّفت خصائصه بمصطلحات وتعاريف مختلفة ومتغايرة تضاهي إلى حدّ ما الدّرس السّياقي عند الغرب وفي هذا الصّدد يقول تمّام حسّان: «إنّ دراسة وتفوق معظمها في مجال فهم طرق التّركيب اللّغوي، هذا مع الفارق الزّماني الواسع الذي كان ينبغي أن يكون ميزة للجهود المحدثة على جهد عبد القاهر».[40]

ويمكننا أن نلخص السّياق عند البلاغيّين بأهم فكرتين:

الأولى: هي مراعاة مقتضى الحال، ومراعاة المقام وهو ما عبّر عنه البلاغيّون سابقا بعبارة " لكلّ مقام مقال " وقد تحدّث عنه العديد من البلاغيين في كتبهم أمثال الجاحظ، التافتزاني-ابن طباطبا وغيرهم وهو يقابل إلى حدّ بعيد ما يصطلح عليه في علم اللّغة الحديث بـ "سياق الحال".

الثّانية: وهي مراعاة تركيب الكلام ونظمه وتأليفه، وقد عرف هذا النّوع بنظرية النّظم التي درست بعناية أجزاء الكلام وتركيبه وكيفية تأليفه، وقد حظيت هذه النّظرية بالعناية لرصدها لمواضع الإعجاز في القرآن الكريم بدء من الجاحظ وكتابه المفقود، فالخطّابي، فالقاضي عبد الجبّار وصولا إلى عبد القاهر الذي تحدّث عن الموقعية السّياقية، كما أنّ هذا الأخير تعامل مع السّياق معاملة تكاد تقف نظيرا لمثلها عند الغرب وهذا ما أشاد به أحد تلامذة فيرث نفسه وهو تمّام حسّان، ويقابل هذا السّياق اللّغوي.

[40] تمّام حسّان- اللّغة العربيّة معناها ومبناها- دار الثّقافة- الدّار البيضاء – م المغربيّة- 1994-ص18.

وعلى الرّغم من كل هذا الإســـهام العظيم الذي تحدّث عنه علماء البلاغة بل ووظّفوه في كثير من الأحيان في ثنايا كتبهم إلا أنّ هناك من تعقبّ كلامهم ورأى «أنّ دراســتهم لم تكن مســتقلّة، وأنّه ليست لديهم نظرّية متكاملة، فالسّياق في نظره كان عندهم عارضا ولم يكن محلّ دراسة».[41]

3.1.2السّياق عند الأصوليّن:

لقد اهتمّ علماء أصـول الفقه الإسـلامي كغيرهم من علماء اللّغة وعلماء التّفسـير وأصـحاب البلاغة بالسّـياق وأولوه اهتماما بالغا، فهو: « العلم بالقواعد التي يتوصّـل بها إلى اسـتنباط الأحكام الشّـرعية من أدلّتها التّفصـــيلّية[42] » ؛ وكان اهتمامهم به نابعٌ من اهتمامهم باللّغة العرّبية وما يلحق بها من قواعد وضـوابط، بل إنهّم جعلوا من شـروط الباحث الأصـوليّ أن يكون عالماً باللّغة العربية، كيف لا ؟ وهي اللّغة التي بنيت الشّريعة الإسلاميّة عليها أسُسها، وممّا اهتمّ به علماء الأصول من مواضيع اللّغة العربية موضـوع السّـياق، ذلك الموضـوع كان حاضـرا بكثرة في كتبهم والذي سـنتحدّث عن بعض ما سُـجّل في كتبهم التي كان أوّلها وأبرزها كتاب " الرّسـالة " للإمام الشّـافعي « الذي تحدّث فيه عن السّياق من خلال أحد أبواب كتابه فيما سمّاه " بابُ الصّنف يبيّن سياقه معناه " والذي مثّل له بجملة من الآيات القرآنية الموضّـــحة والتي نذكر منها قوله عزّوجل: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَت ظَّالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً ـاخَرِينَ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ -سورة الأنبياء

[41] ينظر-محمّد عبد الله سيف- البحث الدّلالي عند الشّوكاني- مكتبة المعارف- بيروت-لبنان-2005م-ص 99.

[42] الشّوكاني-إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول-تح:محمّد سعد البدري-دار الفكر-بيروت-لبنان-ط1-1992م-ص18.

– الآيتان 12و13– ثمّ علّق عليها بقوله: « فلما ذكر أنّها ظالمة بان للسّـــامع أن الظّالم إنمّا هو أهلها دون منازلها التّي لا تظلم، ولما ذكر المنشئين بعدها وذكر إحساسهم البأس عند القسم، أحاط العلم أنّه إنّما أحس البأس الآدميّن ».[43] وهذا يدلّ على أنّ ما جيء به من تسـلسـل للألفاظ في التّركيب الواحد للآية فُهم من خلال سياقه الوارد فيه، فلا يجوز نسبة الألفاظ لغير ما تنسب له كعدم جواز نسبة الظّلم للقرية على الحقيقة، وهذا ما تكلّم عليه الشّافعي.

كما أنّ للسّياق دور هام في فهم المعاني وتوضيحها والتّرجيح فيما بينها، وفي هذا يقول العزّ بن عبد السّلام [44] :« السّياق مرشدٌ إلى تبين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات وذلك بعرف الاستعمال، فكلُّ صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا وكلُّ صفة وقعت في سياق الذّم كانت ذمّاً، فما كان مدحاً بالوضع صار ذمّا واستهزاءً وتهكّماً ... وأمّا ما يصلحُ للأمرين فيدلُّ على المراد به السّياق كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ سورة القلم – الآية 04، أرد به عظيما في حسنه وشرفه لوقوع ذلك في سياق المدح؛ وأمّا قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيماً﴾ سورة الإسراء – الآية 40– فأراد به عظيما في قبحه لوقوعه في سياق الذّم ».[45]

[43] إدريس الشّافعي– الرّسالة –تح: أحمد شاكر–مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده–ط1–ص62–63.

[44] هو العزّ بن عبد السّلام، السّلمي، الدّمشقي، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، مفسّر، لُقب بسلطان العلماء، من كتبه: رسالة في علم التّوحيد، قواعد الأحكام في مصالح الأنام –توفي سنة (660هـ)– راجع: طبقات الشّافعية –مج 6–ص109.

[45] العز بن عبد السّلام–الإلمام في بيان الأحكام–تح: رضوان مختار بن غريبة–دار البشائر الاسلاميّة–بيروت–لبنان–1987م– ط1–ص 159–160.

والأمثلة على ذلك في السّـــياق القرآني كثيّرة منها قوله عزّوجل: ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَامُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوَ اَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ سورة هود – الآية 87. فهنا سخرية من قوم شعيب- عليه السلام- لنبيهم في صورة مدح.

لذلك فالسّياق هو الذي يحدّد الغرض المقصود من الآية، ففي القرآن الكريم نجد الكثير من الأغراض والأســاليب البلاغية التي تظهر أنّها تدلّ على شــيء لكن يراد بها شــيء آخر، كالآيات التي يكون ظاهرها الاســتفهام وهي تدلّ على التّوبيخ أو غير ذلك كقوله عزّوجل في كتابه العزيز: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ سورة غافر-الآية 15، التي يفهم من خلال سياقها أنّه ليس الغرض منها الاستفهام كون المخاطب هو المولى عزّوجل.

وممّا ذكر في كتب الأصوليّين عن السّياق نذكر ابن القيّم الجوزّية، الذي تحدّث هو الآخر عن السّياق فجاء في كتابه الفوائد «فصلٌ سمّاه : " في أصول الفقه والجدل وآدابه والإرشاد إلى النّافع به، كما جاء في الكتاب والسّـنة " فيذكرُ تعميم السّـياق حسـب الغرض الذي جاء فيه كتعميم النّكرة في سـياق النّفي، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾سورة الكهف – الآية 48»[46]. ثمّ يتحدّث عن العموم والخصـوص وغيرها من الأدلّة التي ترشـد المتلقي إلى فهم الخطاب واسـتنباط الأحكام منه فيقول: « السّياق يرشد إلى تبين المجمل وتعين المحتمل والقطع بعد احتمال غير المراد، وتخصيص العام،

[46] ينظر- ابن القيّم الجوزّية -بدائع الفوائد-تح: علي العمران-دار عالم الفوائد-ص 1308-1306.

تقيد المطلق وتنوُع الدّلالة، وهو من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلّم، فمن أهمله غلط في نظره وغالظ في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقِ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ سورة الدّخان الآية 49،كيف نجد أنّ سياقه يدل على أنّه الذليل الحقير».[47]

في هذه الفقرة نجد أنّ ابن القيم قد تحدّث عن العديد من المسائل المتعلّقة بأصول الفقه، والتي منها تخصيص العام وتقييد المطّلق (وهي تلك النّصوص القرآنية التي يبني عليها الأصوليون الأحكام الشّرعية، فيقارنون تلك النّصوص قرآنية أو نبويّة بين المطلق فيها والمقيّد، بين الخاص والعام فيها)، هذه المسائل يوضّح لنا فيها ابن القيم كيف ساهم السّياق فيها وساعدهم على استنباط الأحكام منها.

ولعلّ ما أسلفناه من حديث بعض الأصوليين عن السّياق من كلام للشّافعي وللعزّ بن عبد السّلام ولابن القيم في كتبهم يوضح لنا أنّهم قد تحدّثوا فعلاً عن الدّرس السّياقي وأولوه اهتماما بالغا، وما ذكرنا من كلامهم ذلك يمكننا أن ندرجه في ما عُرف لاحقا بالسّياق اللّغوي أو الدّاخلي.

ولابدّ للسّياق المقامي من قرائن موضّحة للمعنى تفهم من خلال السّياق التي وردت فيها، فيكون سيّاق المقام في كثير من الأحيان أبلغ من غيره في الفهم، وفي هذا يقول أبو حامد الغزالي في كتابه المستصفى وذلك خلال حديثه عن دلالة صيغ العموم فيقول: « إنّ قصد الاستغراق يُعلم بعلم ضروريٍّ يحصل عن قرائن ورموز وإشارات وحركات من المتكلّم وتغيرات في وجهه، وأمور معلوم من

[47] المصدر نفسه–ص 1314.

عادته ومقاصده، وحركات مختلفة لا يمكن حصرها في جنس ولا ضبطها بوصف، بل هي كالقرائن التي يعلم بها خجل الخجل ووجل الوجل وجبن الجبان، وكما يعلم قصد المتكلّم إذ قال السّلام عليكم أنّه يريد التّحية أو الاستهزاء أو اللّهو ».[48]

فهذا حديث آخر وفقرة أخرى تقابل سابقتها في ما يُصطلح عليه في علم اللّغة الحديث بالسياق المقامي الذي يحدّد خارج النّص من خلال علامات أو رموز، فقول أحدهم لآخر السّلام عليكم يحدّدها السّياق الذي قيل فيه والتّنغيم الذي جاء به ولمن قيل فكلّها قرائن تساعدنا على المراد بهذا القول إن كان تحيّة أو استهزاءً أو شيئا آخر.

ولذلك فإنّنا نجد الصّحابة –رضوان اللّه عليهم –قد وجّهوا هم كذلك المعنى بطريقة أداء النبيّ –ﷺ– للنّصوص يقول الغزالي: « أمّا الصّحابة –رضوان الله عليهم– فقد عرفوه بقرائن أحوال النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– و تكريراته وعاداته المتكرّرة، وعلم التّابعون بقرائن أحوال الصّحابة وإشارتهم ورموزهم و تكريراتهم المختلفة [49]».

لقد اهتمّ الأصوليّون بالسّياق اللّغوي وبكل ما يلحق التّركيب من معاني،كما أنهم اهتمّوا بالسّياق غير اللّغوي –المقامي– وركّزوا على كل جوانبه من قرائن ورموز وإشارات بنَوا عليها في استنباط أحكام الشّرع واستخلاص القواعد منه، وفي ذلك نجد الغزالي يواصل حديثه عن القرائن بقوله: « ويكون

[48] أبو حامد الغزالي– المستصفى من علم الأصول–تقديم :محمّد إبراهيم رمضان–مطبعة الأرقم–ج2/1–ص56.
[49] المصدر نفسه –ص67.

طريق فهم المراد تقدّم المعرفة بوضع اللّغة التي بها المخاطبة، ثمّ إن كان نصّا لا يحتمل كفى معرفة اللّغة وإن تطرّق إليه الاحتمال، فلا يعرف المراد منه حقيقة إلاّ بانضمام قرينة إلى قرينة اللّفظ، والقرينة إمّا: لفظٌ مكشوف، وإمّا إحالة إلى دليل العقل ... وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق و لواحق ... ينقلها المشاهدون من الصّحابة إلى التّابعين بألفاظ صريحة أو مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر حتّى توجب علما ضروريّاً بفهم المراد، أو توجب ضنّاً وكل ما ليس له عبارة موضوعة في اللّغة فتعين فيه القرائن »[50]؛ فهذه القرائن الثلاثة وهي: اللّفظ المكشوف أو الإحالة إلى دليل العقل أو قرائن أحوال كالرّموز والإشارات والسّوابق واللّواحق كلّها ضروريّة في فهم الكلام الصّادر من المتكلّم، وغيابها قد يؤدّي إلى غير الفهم الصّحيح، فهي الوسيلة المعينة على فهم كلام المخاطَب ولو احتمالاً وفي هذا يقول الشّاطبي[51] :«ليس كل حال ينقل ولا كلُّ قرينة تقرن نفس الكلام المنقول، وإذ فات بعض القرائن فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منها [52]».

وفي ذات الصّدد نجد أن الأصوليين قد عالجوا تعدّد معنى الصّيغة وفق صورة متكاملة، غير مجرّدة عن سياقها أو منزوعة منه، من ذلك نذكر: « تعدّد دلالة الأمر في القرآن الكريم في غير موضع، وكيف

[50] أبو حامد الغزالي -المستصفى-ج2-ص 675-676.

[51] هو إبراهيم بن موسى بن محمّد اللّخمي، الغرناطي، الشّهير بالشّاطبي، أصوليّ حافظ من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكيّة – راجع: كتاب الموافقات-ص 04.

[52] أبو إسحاق الشّاطبي-الموافقات-شرح: عبد الله دراز-دار الكتب العلميّة- بيروت-لبنان-2003م-ط1-ص676.

عوّل الأصـوليُّ على السّـياق لفهم مراد الآية و مقصـدها، فقد عدّ ابن النّجار[53] مثلا لصـيغة الأمر (افعل) خمســـاً وثلاثين معنى، أوّلهما في الوجوب وبقيّتها لا تدلُّ على الأمر مطلقاً، ومن بين تلك المعاني الّتي عدّها ابن النّجار نذكر الآيات التّالية:

- الوجوب: نحو قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ سورة الإسراء- الآية 78

- النّدب: نحو قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً﴾ سورة النّور- الآية 33.

-الإرشاد :نحو قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّىً فَاكْتُبُوهُ﴾ سورة البقرة – الآية 281.

-التّعجيز : نحو قوله تعالى:﴿فَاتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ سورة يونس – الآية 38

-الدّعاء :نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ سورة إبراهيم -الآية 42.

-الوعيد: نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُومِنْ وَّمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ سورة الكهف – الآية 29.

-التصبّر نحو قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ سورة الطّارق- الآية 17 ».[54]

[53] هو أبو البقاء شهاب الدّين أحمد بن محمّد بن عبد العزيز بن علي المصرّي الحنبلي، فقيه حنبليٌّ تبتٌ وأصوليّ، لغويٌّ متقن ولد بمصر898هـ وتوفي سنة 972هـ، من مؤلّفاته: منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التّنقيح والزّيادات.-راجع: شرح الكوكب المنير -ج1-ص 5-6.

[54] ابن النّجار-شرح الكوكب المنير المسمّى مختصر التّحرير – تح: محمّد الزحيلي ونزي حمّاد- وزارة الشّؤون الإسلاميّة – م ع السّعودية -1993م-مج3-ص17 وما بعدها.

فهذه المعاني التي ذكرها ابن النّجار رغم تقارب بعضها في الدّلالة، إلا أنّ تتّبع الأصولي لكل سياق بانفراد جعله يوضّح معنى هذه الآية بهذا الشّكل، ومعنى الآية الأخرى بشكل آخر، إذ كان فهمه منصّباً على قراءة متكاملة لما جاء في السّياق القرآني، ويمكننا هنا أن نستشهد بالقاعدة الأصوليّة التي تقول: «أنّ الأمر بعد الحضر يفيد الإباحة »[55] ؛ وهي القاعدة الّتي علّق عليها ردة الله الطلحي صاحب أطروحة دلالة السّياق بقوله: « فإنّ صياغة هذه العبارة تكشف عن العناية بسياق النّص مما سبقه خاصّة، فيترتّب أنّها للإباحة بعد الحظر السّابق، أنظر إلى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَّوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَاسْعَواْ اِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُواْ فِى ٱلاَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة الجمعة – الآيتان 09-10؛ وهذا ما أشار إليه ابن النّجار من أنّ الاباحة تُفهم من الأمر لا من صيغته، ولكن بقرينة من الخارج ». [56]وممّا ذكرناه عن ابن النّجار توظيف صريح للسّياق، استعان به للكشف عن بعض معاني الأمر الواردة في القرآن، والتي منها: الإباحة التي تأتي بعد الحظر التي فهمت من الأمر لا من صيغه مع ضرورة وجود قرينة خارجية وهذا العمل يقابل مصطلح سياق النّص حديثا إلى جانب سياق الحال في استعمال القرائن كما ذكر ذلك ردّة الله الطّلحي[57].

[55] المصدر نفسه –ص 19.

[56] ردّة الله الطّلحي–دلالة السّياق–ج1– ص140.

[57] راجع – المصدر نفسه –ص: 135-136

واستنادا على ما أسلفنا ذكره من حديث للأصوليّين عن السّياق فإنّه يتّضح أنّ السّياق قد كان متناولا عندهم وموظّفا في كتبهم وفي آرائهم، حيث كان مستعملا بطريقتهم الخاصّة بها فاستعملوا السّياق اللّغوي والسّياق المقامي وسيّاق النّص وإن كان بطريقة مختلفة وبمصطلحات أخرى وبفارق زماني كبير، بدءًا بالشّافعي وكتابه الرّسالة، ثم العزّ بن عبد السّلام وكتابه الإلمام فابن القيّم الجوزّية مع كتابه الفوائد وكيف تناول هؤلاء السّياق وكيف تحدّثوا عن دوره في الكشف عن المعاني وترجيح المحتمل منه، مرورا بأبي حامد الغزّالي وحديثه عن القرائن غير اللّغوية المساعدة في الكشف عن المعاني أو ما يقابل السّياق المقامي، وصولا إلى ابن النّجار وكيف استعان بسياق النّص أو بالسّياق القرآني في تبين دلالات الأمر في القرآن والتي تغيّرت دلالاتها بتغير سياقاتها، فأفادت تارة الوجوب وتارة أخرى النّدب وفي أخرى التّعجيز وهكذا، وهذا خير دليل على دراية هؤلاء بهذا العلم النّبيل وهو السّياق، فتجد في كتبهم إمّا إشارة أو توظيف أو حديث عنه –طبعا –بطريقة مختلفة.

4.1.2 السّياق عند المفسّرين :

لقد كان لعلماء التّفسير دور بارز في استخدامهم للسّياق بأنواعه المتعدّدة، لارتباط هؤلاء بالقرآن الكريم مباشرة، ففهم القرءان الكريم وتخريج معانيه يتطّلب منهم العمل بالسّياق ولا يمكن لهم تفسير هذه الآية أو تلك بمعزل عن السّياق الواردة فيه، مع مراعاة القرائن الخارجية كأسباب النّزول، وأقوال النّبي –ﷺ– وأقوال بعض صحبه في فهم معاني الآيات، وهو ما ينبني عليه المفسّر كلامه في تخريجه

للمعاني خصوصا يأتيه عن النّبي -ﷺ- وفي هذا يقول السّيوطي:« التّفسير كشف معاني القرآن وبيان المراد منه، سواء أكانت معاني لغويّة أو شرعيّة بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعرفة المقام ».[58]

وعن القرائن دائما نجد ابن كثير يتحدّث عن نفس الفكرة فيقول: « إنّ أصحّ الطّرق في ذلك أن يُفَسّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان قد بسّط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسّنة فإنّها شارحة للقرآن وموضّحة له – ثم يضيف- فإن لم نجد التّفسير في القرآن ولافي السّنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصّحابة، فإنّهم أدرى بذلك لما شهدوا من القرائن والأحوال التي اختصّوا بها، ولما لهم من الفهم التّام والعلم الصّحيح »[59] ؛ ولذلك فإنّ المفسّر يستخرج معاني الآيات من القرءان أوّلا باستقراء لما جيء في سياق القرآن، فإن لم يجد ففي سنّة النّبي -ﷺ-، فإن لم يجد ففي فهم الصّحابة وعلمهم وكل هذا من القرائن السّياقية معينة على الفهم الصّحيح؛ ويمكن أن نمثّل هنا لما فُسّر بالنّوع الأوّل وهو تفسير القرآن بالقرآن، وذلك: « بما فسّر به النّبي -ﷺ- قوله تعالى:﴿ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ اوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلاَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ سورة الأنعام -الآية 89؛ بقوله عزّوجلّ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾سورة لقمان – الآية 12؛ فحين نزلت الآية الأولى تسائل الصّحابة بقولهم: أيّنا لا يظلم نفسه ؟ ففسّر لهم النّبي ذلك بالآية الثّانية ».[60]

[58] جلال الدّين السّيوطي- التّحبير في علم التّفسير-تح: فتحي فريد-دار العلوم-1982م-ص 42.

[59] إسماعيل بن كثير-تفسير القرآن العظيم- تح: سامي بن محمّد-دار طيبة-الرّياض-م ع السّعودية-ط1-1999م-ج1-ص 07.

[60] ردّة الله الطّلحي- دلالة السّياق-ج1-ص91

ومما استعمله المفسّرون كذلك من سياق مقامي (الموقف) ما يبدو في استعمالهم لأسباب النّزول وهي كما قال ابن تيميّة: « تعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسّبب يورث بالعلم بالمسبّب ».[61]

ويمكننا أن نوضّـح هذه القرينة – سـبب النّزول- وأهميّتها بالآية الكريمة، وهي من الأمثلة التي ذكرها السّيوطي في كتابه الإتقان وذلك في قوله تعالى:﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة – الآية 114؛ فقال أي السّيوطي: « فإنّا لو تُركنا ومدلول اللّفظ لاقتضى أنّ المصلّي لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضراً، وهو خلاف الإجماع، فلمّا عُرف سبب نزولها عُلم أنّها في ناقة السّفر، أو فيمن صلّى بالاجتهاد، وبان له الخطأ، على اختلاف الروايات في ذلك »[62]؛ فتبيّن من خلال الرّجوع إلى قرينة سـبب النّزول معرفة معنى الآية التي ظاهر معناها يخالف المعنى الذي جيء به من سبب النّزول.

وعليه فإنّه يتّضـح من خلال ما أسـلفنا ذكره من كلام للسّـيوطي ولابن تيميّة وابن كثير كيف تحدّثوا عن القرائن وكيف وظّفوها في تفسـيرهم للآيات القرآنية، وهذه القرائن كلّها مقالّية – داخليّة- أو مقاميّة- خارجيّة تعد من أهم آليات السـياق، ويعد هذا الصّـنيع في علم التّفسـير من النّوع الأوّل له وهو التّفسير بالمأثور لاستناده عليه.

[61] ابن تيميّة -مقدّمة في علم التّفسير-تح: عدنان زرزور- د.دار نشر-ط2-1972م-ص 47.

[62] جلال الدّين السّيوطي-الإتقان في علوم القرآن-تح: شعيب الأرنؤوط-مؤسسّة الرّسالة-ط1-2008م-ص72.

أمّا النّوع الثّاني من التّفسير فهو التّفسير بالرّأي وهو عند الذّهبي: «عبارةٌ عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربيّة ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشّعر العربي، ووقوفه على أسباب النّزول، ومعرفته بالنّاسخ والمنسوخ وغيرها [63]».

فهذا النّوع الثّاني من التّفسير يتطلّب هو الآخر الرّجوع إلى السّياق لفهم مضامين الآيات ومقاصدها، ولا يمكن للمفسّر الاستغناء عنه، ولعلّه من أهم عناصر السّياق في هذا النوّع من التّفسير نجد عنصريْ المكان والزّمان، وهما من أهمّ العناصر السّياقية التي اهتمّ بها المفسّرون في تحديد آي المكيّ والمدني، وكان لهم في ذلك التّحديد طريقان ذكرهما منّاع القطّان صاحب كتاب " مباحث في علوم القرآن " فقال: « اعتمد المفسّرون في معرفة المكّي والمدني على منهجين أساسيّن، المنهج السّماعي النّقلي: وهو ما يستند إلى الرّواية الصّحيحة عن الصّحابة الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله أو عن التّابعين الذين تلقّوا عن الصّحابة ... والمنهج الآخر: وهو المنهج القياسي الاجتهادي الذي يستندُ إلى خصائص المكّي وخصائص المدني، فإذا ورد في السّورة المكّية آية تحمل طابع التّنزيل المدني أو تتضمّن شيئا من حوادثه قالوا إنّها مدنيّة، وكذلك الأمر في السّور المدنيّة التي تحمل طابع التّنزيل المكّي أو تتضمّن شيئا من حوادثه قالوا : أنّها مكّية »[64] ؛ فصنيعهم هذا في التّعامل مع آيات المكّي والمدني كان مبنيّا على استقرائهم للحال الذي نزلت فيه هذه الآية أو تلك، واستقراءهم لهذا المقطع القرآني ولذلك فسياق حال مكّة يختلف تماما عن سياق المدينة، لذلك نجد آيات المكي في غالبها تتحدّث

[63] محمّد حسين الذّهبي-التّفسير والمفسّرون- مكتبة وهبة-القاهرة – مصر -ج1 -ص 183.

[64] منّاع القطّان- مباحث في علوم القرآن- مكتبة وهبة -ط7-ص36.

عن الأمم الغابرة، ومجادلة المشـــركين في أمور الوحدانيّة ،بينما نجد أنّ الغالب عن الآيات المدنية هو التّطرق لآيات التّشريع، وذكر لأعمال المنافقين ، واذا تتبعنا هذا وذاك فإنّنا نجده يتماشى مع مقتضى حالهم.

وممّا تحدّث عنه المفسّـرون وله علاقة بالسّـياق نذكر: علم المناسـبات، الذي هو « وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعدّدة، أوبين السّـورة والسّـورة »[65]؛ وهذا الرّبط هو كذلك مهم في السّياق، وتكمن فائدته كما نقلها السّيوطي في كتابه في «جعل أجزاء الكلام آخذا بأعناق بعض، فيقوّي بذلك الارتباط، ويصـــير حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء»[66]؛ وأمّا موضـــوعه فقد فصّـــل فيه البقّاعي بقوله: « علم تعرف منه علل التّرتيب، وثمرته الاطّلاع على الرّتبة التي يستحقّها الجزء بسبب ماله بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلّق الذي هو كلحمة النّسـب، فعلم مناسـبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سـرّ البلاغة، لأدائه إلى تحقيق المعاني لما اقتضـــاه الحال » [67] ؛ ولعلّ هذا العلم يجمع في طيّاته الكثير ممّن الاســتعمالات السّياقية، فهو يكشف عن علل التّرتيب وعن رتبة الكلمة في السّياق، ويستوجب ارتباط الكلام بعضه ببعض بين السّـور و الآيات، كما أنّه يؤدّي المعاني تبعا لما يقتضـيه الحال ،وهذا كلّه يدلُّ على عناية المفّسر بالسّياق حتى وإن كانت عناية لغير ذاتها فقد جمع بين العديد من أنواع السّياق.

[65] المرجع نفسه–ص 92.

[66] جلال الدّين السّيوطي– الإتقان في علوم القرآن–ص 631.

[67]برهان الدّين البقّاعي– نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور– دار الكتاب الإسلامي – القاهرة :مصر– ج1–ص 06.

ويمكننا باختصار أن نقول: أنّ المفسّرين قد استعانوا بالسّياق أكثر من غيرهم لما تطلب لديهم من معرفة قوانين اللّغة التي نزل بها القرءان الكريم والذي كان لهم ارتباط مباشر به، فاستعان هؤلاء بالسّياق ووظّفوه وتحدّثوا عنه وإن كان باختلاف اصطلاحي أو منهجي وقد ذكرنا بعضا من أقوالهم، وربّما تجسّد السّياق فيما ذكرنا باستعمالهم للقرائن سواءً القرائن النّقلية كتفسيرهم القرآن بالقرآن، أو، القرآن بالسّنة أو القرآن بأقوال الصّحابة، وهذا منهج المدرسة الأثريّة، ونجد مقابل ذلك منهج مدرسة الرّأي التي هي الأخرى استعانت بالقرائن اللّغوية وبقرينة أسباب النّزول؛ كما كان لهم – أي المفسّرين- في معرفة المكّي والمدّني كذلك طريقتان: الأولى الطّريقة السّماعية النّقلية، والأخرى تتبّع مقتضى الحال، كما أن استعمالهم للسّياق قد ظهر كذلك بالاستعانة بعلم المناسبات وهذا كلّه دليل واضح من تطرّق هؤلاء العلماء للعديد من أنواع السّياق التي ظهرت في علم اللّغة الحديث بمصطلحات متغايرة، مع اختلاف الغاية والمقصد وطريقة التّناول.

وفي آخر هذا المبحث الذي جلنا به في رحاب تراثنا العربي والذّي قصدنا به البحث عن السّياق في كتب الأسلاف، من خلال تتبّع بعض كتبهم وأقوالهم التي أخذنا منها عيّنات مختصرةً في بعض ما ورد عن النّحويين والبلاغيين والأصوليين والمفسّرين، اتّضح لنا أنّ الممارسة السّياقية قد كانت حاضرة عند هؤلاء، فكان التّوظيف الصّريح لكثير من المصطلحات المستخدمة في عصرنا هذا والتي منها: مقتضى الحال، والقرائن وغيرها حتى وإن كانت دراستهم عرضيّة غير مباشرة، تكاد في كثير من الأحيان تضاهي نظيرتها مما جاء به العلم اللّغوي الحديث مع اختلاف في المصطلحات والمنهجيّات.

2.2 السّياق في الفكر اللّغوي الغرب :

بعد أن تطرّقنا في المبحث السّابق عن موضوع السّياق في كتب التراثيّين، كان لابدّ علينا الحديث عن هذا الموضوع في الفكر اللّغوي الحدّيث، من خلالها التطرّق لأهمّ من تحدّثوا عنه، على النّحو التّالي:

- **1.2.2 عند جوزيف فندرس (Joseph Vendryes)**: يعدُّ فندريس من اللّغوين الغربيّن الأوائل الذّين تحدّثوا عن السّياق لكن سبقه في ذلك دي سوسيورFerdinand de Saussure الذي تحدّث عن السّياق «ضمن ما أطلق عليه العلاقات " الإيحائيّة والعلاقات السّياقية " والتي تكون الأولى منها حضـــوريّة فعلا (ونقصـــد بها الكلمات والتّراكيب الموجودة بالفعل) والثّانية منها غيابيّة (ونقصـد بها تلك العلاقة القائمة على الرّبط بين الألفاظ والتّراكيب سـواء من حيث المعاني أو الصّـيغ المشـتركة) »[68] ؛ لكنّ حديث دي سـوسـير عن السّـياق كان موجزّا جدّا ؛ أمّا فندريس فقد تحدّث بشكل أوسع من سابقه عن السّياق وذلك وفق منظور معيّن مسجّل في كتابه "اللّغة " فيقول: «إنّنا حين نقول بأنّ لإحدى الكلمات أكثر من معنىً واحد في وقت واحد نكون ضـــحايا الانخداع إلى حدّ ما، إذ لا يطفو في الشّـــعور من المعاني المختلفة التي تدلُّ عليها إحدى الكلمات إلاّ المعنى الذي يعيّنه سـياق النّص، أمّا المعاني الأخرى جميعها فتمحى تبدّد»[69]؛ وهنا يشّـير بشـكل مباشـر إلى دور سياق النّص وبنيَته الدّاخلية في تحديد المعاني المشتركة، حتّى أنّها يرفض وجود الاشتراك اللّفظي للألفاظ

[68] ردّة الله الطّلحي – دلالة السّياق –ج1- ص 139-141.

[69] جوزيف فندريس-اللّغة -تر: عبد الحميد الدّواخلي-تقديم: فاطمة خليل- المركز القومي للتّرجمة-القاهرة-مصر-2014م-ص 288.

فيقول: « الذي يُعَيّنُ قيمة الكلمة في كلّ الحالات الّتي ناقشناها إنّما هو السّياق، إذ أنّ الكلمة توجد في كلّ مرّة تستعمل فيها، في جوّ يحدّد معناها تحديدا مؤقّتا، والسّياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرّغم من المعاني المتنوعة التي وسِعها أن تدلّ عليها؛ والسّياق أيضا هو الذي يخلّص الكلمة من الدّلالات الماضية التي تدعها الذّاكرة تتراكم عليها »[70] ؛ فحديث كل من دي سوسير وفندرس عن السّياق لا يكاد يتعدّى البناء الدّاخلي للنّصوص وفق إطار محدود لم تؤخذ فيه القرائن غير اللّغوية بعين الاعتبار والتي لها دور هام في تحديد المعاني.

- **2.2.2 عند رومان ياكبسون (Roman Jakobson)**: نجد ياكبسون هو الآخر يتحدّث عن السّياق من خلال حديثه عن وظائف اللّغة السّتة وذلك في كتابه " قضايا الشعريّة" فبيّن وظيفة السّياق بقوله: «لكي تكون الرّسالة فاعلةً فإنها تقتضي بادئ ذي بدء سياقا تُحمل عليه – وهو ما يدعي أيضا المرجع باصطلاح غامض نسبيّاً – سياقا قابلاً لأن يدركه المرسلُ إليه وهو إما يكون لفظيا أو قابلا لأن يكون كذلك »[71] ؛ فهو بذلك يوضّح وظيفة الرّسالة التي تكون بين المرسل والمرسل إليه عبر القناة والتي لابدّ لها من سياق معيّن يحدد معانيها وغايتها، سياق يفهمه المتلقّي – المرسل إليه– بواسطة ألفاظه أو بواسطة يؤدّي إلى فهمه.

[70] المصدر نفسه–ص 231.

[71] رومان ياكبسون– قضايا الشّعريّة – تر: محمّد الوالي ومبارك حنون–دارتوبقّال– الدّار البيضاء–م المغربية–ط1–1998م–ص 27.

– ثمّ توالت الأبحاث والدّراسات الغربية في هذا الموضوع إلى أن ظهر برونسلا مالينوفسكي (Bronisław Malinowski) ، الذي يعدُّ المنظّر الحقيقي الأول لنظرية السّياق، كيف لا ؟ وقد شكّلت أبحاثه فيما بعد محورا أساسيّا ساعدت فيرث في تأصيل نظريّته السّياقية.

كانت أبحاث مالينوفسكي منصبّة أساساً على اللّغة عموماً وعلى السّياق على وجه الخصوص، وذلك حين عجز عن ترجمة بعض النّصوص التي سجّلها أثناء عمله في تروبرياند، لذلك تجده يقرّ بدور السّياق ،وبخاصّة سياق الحال فيقول : «إنّ لهذا القول[72] معنى إذا وضعنا الجملة في السّياق الذي استعملت فيه أصلا ... فاللّغات الحيّة يجب أن لا تتعامل مثل اللّغات الميّتة مقطوعة عن سياق حالتها، بل يجب أن يُنظر إليها كما يستعملها النّاس »[73]؛ فهو بذلك يؤكّد أهميّة سياق الحال في توضيح المعنى، وهو ما حصل معه تماما، حيث أنّ لبعض المفردات والألفاظ استعمالات ودلالات معيّنة لابد لها من حال يصفها ويبيّنها، ولذلك نجد علي عزت يشرح قول مالينوفسكي قائلا: « وجد مالينوفسكي نفسه أمام العديد من المشاكل اللّغويّة في جزر التروبرياند، ممّا جعله يربط كثير من العبارات والتّفسيرات التي صعب عليه تفسيرها ترادفيّاَ، حاول ربطها بالموقف الذي قيلت فيه وبنوع النّشاط السّكاني الذي صاحب هذه التّعبيرات، وعبر نظريّة سياق الموقف – سياق الحال – التي

[72] يعني بالقول هنا: ما سجّله لصاحب الزّورق في قوله: نحن نُسيّر الخشبة الأماميّة بأنفسنا، ونحن نلتفت ونرى صاحبنا ؛ ثم يبرز دور السّياق في ذلك فيخبرنا أنّه لما أدرج هذا الكلام في سياقه فهم منه أن الخشبة هي مجداف الزّورق.

[73] بالمر–علم الدّلالة –تر: مجيد الماشطة–كليّة الآداب بالجامعة المستنصريّة– مطبعة العمّال المركزيّة– بغداد–العراق–1985م– ص61.

وجدها حلاً مناسبا لهذه الصّعوبات »[74].وقد ظهر اهتمامه بسياق الموقف -الحال- في قوله: «إنّ اللّغة في جوهرها متأصّلة في حقيقة الثّقافة ونظم الحياة والعادات عند كلّ جماعة، ولا يمكن إيضاح اللّغة إلا بالرّجوع الدّائم إلى المحيط الأوسع وهو الظّروف التي فيها النّطق »[75] ؛ وبذلك يكون مالينوفسكي قد خرج من دائرة السّياق المغلقة التي لا تتعدّى بنية النّص في فهم المعاني، والتي قد تحيل دون فهمها إلى دائرة أوسع وهو الموقف أو الحال الذي وقع فيه؛ غير أنّ معالجته لسيّاق الموقف- الحال- «كانت في إطارها الضّيق حسب بالمر لكونه لا تتوفّر لديه أي نظرّية دلاليّة عمليّة، لأنّه لم يعالج السّياق بصورة منتظمة، حتّى يتسنّى له إصدار المعاني عليها، بل حصرها في ما سمّاه التّفاهم الاجتماعي الذي مثّل له بقوله :? how do you do والتي تستعمل لتوطيد مشاعر مشتركة، فهي لها وظيفة اجتماعية بحتة؛ وفي مقابل هذا الانتقاد الذي وجهّه له بالمر نجد أن فيرث (John Rupert Firth)[76]يثني على مجهوداته لكنّه يراها غير مرضيّة للمدخل اللّغوي الدّقيق [77]» .

ويمكننا هنا أن نقول أنّ السّياق في الفكر اللّغوي الغربي قد مرّ بالعديد من المحطّات اللّغوية التي كانت بداية مع سوسير وفيندرس وياكبسون وكلّ هؤلاء قد عالجوا هذا الموضوع وفق منطلق لا يتعدّى بنية

[74] علي عزت-اللّغة ونظريّة السّياق-مجلّة الفكر المعاصر-العدد:76-1971م- نقلا عن : ردة الله الطلحي-دلالة السّياق- ج1-ص 159

[75] لويس – اللّغة في المجتمع -تر: تمّام حسّان- دار إحياء الكتب العربيّة – 1959م-ص 48.

[76] هو جون روبرت فيرث -(17 -يناير1890-14ديسمبر 1960) بالإنجليزية(John Rupert Firth) : لغوي بريطاني وشخصية رئيسية في تطوير علم اللغة ببريطانيا خلال خمسينيات القرن العشرين عمل أستاذًا في قسم الصّوتيات في كلية لندن الجامعية، قبل أن ينتقل إلى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية، حيث أصبح أستاذًا في اللّسانيات العامة.

[77] ينظر-بالمر-علم الدّلالة-ص 60-61.

الدّاخلية للنّصـــوص، ثمّ توالت الأبحاث والدّراســـات إلى أن ظهر مالينوفســـكي بفكرة وجوب ربط المفردات والكلمات بالحال الذي قيلت فيه، وهو ما توصّل إليه بعد عجزه عن ترجمة بعض النّصوص، فكان بذلك قد أخرج السّياق من الدّائرة المغلقة وربطه بالمحيط الخارجي له، فبالرغم من انتقادات بالمر له، ووصف فيرث لأعماله بغير الموضوعيّة إلا أنّ هذا الأخير قد استفاد منها في نظريّته.

– فيرث والنّظرية السّياقيّة: «تنسب هذه النّظرية إلى فيرث مؤسّس المدرسة الانجليزيّة الاجتماعيّة في اللّغة، الذي وضـــع تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعيّة للّغة، وقد ضـــمّ هذا الاتّجاه أسماء أخرى كهالداي(Halliday)و جون ليونز(John Lyons)[78]».

ويعدّ هذا المنهج من أكثر المناهج موضـــوعيّة كما ذكر منقور عبد الجليل «لمقاربته لمعاني الألفاظ والتّراكيب، حيث يقدّم النّموذج الفعّال في تحديد دلالة الصّيغ اللّغوية، ففي هذا المنهج تصنّف دلالة الكلمة ضمن الدّلالة الرئيسيّة، كون السّياق يحمل حقائق إضافيّة تشارك الدّلالة المعجميّة للكلمة في تحديد الدّلالة العامّة [79]». وذلك يعني أنّ: الكلمة تحمل أكثر من معنى ضـــمن إطارها المعجمي ولا يتحدّد مفهومها إلا من خلال توظيفيها في نمط سـياقي معين، فالسّـياق هو الفيصـل في الحكم على معاني الألفاظ والتّراكيب، لأنّنا كثيرا ما نجد ألفاظا وتراكيبا متشـــابهة المعاني «فمثلا لو نأخذ الآية الكريمة وهي قوله تعالى:﴿ إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ســـورة فصّـــلت – الآية

[78] أحمد مختار عمر–علم الدّلالة–ص 68.

[79] ينظر–منقور عبد الجليل–علم الدّلالة–ص 92–93.

39-ونأخذ قول النّبي ﷺ -لأصحاب بدر " اعملوا ما شئتم " فإنّنا نلاحظ نفس التّركيب غير أنّ سياق الآية معناه التهديد، ومعنى سياق الحديث الشّريف التلطّف، لذلك اقتضى ما يمكن أن نسميّه سياق الموقف -الحال- انصراف الدّلالة مرّة إلى التّهديد ومرّة أخرى إلى التلطّف »[80] ؛ وعلى هذا الأساس فإنّ أصحاب المدرسة الاجتماعية وعلى رأسهم فيرث قد أصّلوا أكثر للسّياق في إطار نظري ممنهج، يدرس الكلمة دراسة علميّة «مما يجعل المعنى سهل الانقيّاد للملاحظة والتّحليل الموضوعي ... ويعالج الكلمات باعتبارها أحداثا وأفعالا وعادات تقبل الموضوعيّة والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة بنا [81]». فهذا العمل قد نقل الدّرس السّياقي من إطار منهجي إلى إطار نظري، وقد مكّن الباحثين إلى اكتشاف أنواع أخرى للسّياق كالسّياق الثّقافي والسّياق العاطفي إلى جانب السّياق اللّغوي والسّياق المقامي.

[80] ينظر- ردّة الله الطّلحي-دلالة السّياق-ج1-ص165.

[81] أحمد مختار عمر- علم الدّلالة -ص 74.

3.السّياق القرآني:

بعد أن تطرّقنا في مقدّمة هذا الفصل إلى التّعريف اللّغوي والاصطلاحي للسّياق بشكله العام، فإنّ تعريف السّياق القرآني كان مدرجا عند بعض الباحثين ضمن " دلالة السّياق " وهذا ما لاحظناه كثيرا أثناء عملية البحث، وعلى كلٍّ فإنّ تعريف السّياق القرآني عند الباحثين قد جاء على النّحو التّالي:

عبد الحكيم القّاسم عرّفه بقوله:« يمكن تعريف دلالة السّياق بأنّها: فهم النّص بمراعاة ما قبله وما بعده، وأمّا المقصود بدلالة السّياق في التّفسير فهو بيان اللّفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السّابق واللّاحق، إلاّ بدليل صحيح يجب التّسليم له »[82].

وعرّفه عبد الفتّاح المثنّى بقوله: «هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنيّة لتبلغ غايتها الموضوعيّة في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال [83]».

وهو عند سعيد الشّهراني «ما يحيط بالنّص من عوامل داخليّة أو خارجيّة لها أثر في فهمه من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطِب، أو المخاطَب، والغرض الذي سيقت له، والجوّ الذي نزل فيه [84]».

[82] عبد الحكيم القاسم-دلالة السّياق القرآني وأثرها في التّفسير-دراسة نظرية تطبيقيّة من خلال تفسير ابن جرير- دار التّدمرية – الرياض -م ع السّعوديّة- مج1-ط1- 2002م-ص 93.

[83] عبد الفتّاح المثنّى – السّياق القرآني وأثره في التّرجيح الدّلالي- أطروحة دكتوراه -جامعة اليرموك -الأردن – 2005م-ص 14.

[84] محمّد الشّهراني- السّياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقليّة الحديثة –كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود – الرّياض- م ع السّعوديّة- ط1- 1436هـ-ص 29.

ويمكن أن نخلص من خلال هذه التّعاريف إلى أنّ السّـياق القرآني هو ذلك النّوع من السّـياق الذي يساهم في بيان معاني المفردات أو التّراكيب، وذلك بالتّقيد بما يسبق هذا اللّفظ أو ذلك التّركيب من سباق ولحاق، مع مراعاة العوامل الدّاخلية والخارجية.

1.3 – أركان السّياق القرآني:

للسّياق القرآني ركنان أساسيّان هما السّباق واللّحاق، هذان الرّكنان قد أدرجهما بعض الباحثين كعبد الحكيم القاسم [85] ضمن أنواع السّياق، لكنّ الرّاجح أنّه لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فلكلّ آية سباق ولحاق؛ يقول عبد الفتّاح المثنى: «فما من سياق إلاّ وفيه سباق ولحاق وهما نفسهما السّياق، فكلّ سـياق له قبل وله بعد، وإنّما يظهر أحدهما في التّرجيح الدّلالي، بمعنى أنّ السّـباق في سـياق ما يرجح معنى على آخر، واللّحاق في سياق ما يرجح معنى على آخر، وقد يجتمعان ... فيرجحان معنى على الآخر» [86] ، وبناء على الاعتبار يمكن تعريف السّباق واللّحاق كالتّالي:

1.1.3 السّباق :

لغة: جاء هذا اللّفظ في المعاجم العربيّة بمعني متعدّدة نذكر منها: قول ابن فارس في معجمه مقاييس اللّغة الذي ذكر فيه «السّين والباء والقاف أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على التّقدّم [87]»؛ وقد جاء معنى

[85] ينظر- عبد الحكيم القاسم -دلالة السّياق القرآني وأثرها في التّفسير-مج1-ص 94.

[86] عبد الفتّاح المثنّى – السّياق القرآني وأثره في التّرجيح الدّلالي-ص88.

[87] ابن فارس- مقاييس اللّغة -ج3-ص129.

هذا اللّفظ عند ابن منظور في معجمه لســـان العرب على أنّه: «القدمة في الجري وفي كلّ شـــيء، والجمع الأسباق والسّوابق »[88]، فالمفهوم اللّغوي يدلّ على المضي نحو الأمام أي التّقدّم.

اصطلاحا: هو: « ما سبق من الكلام وتوقّف فهم معنى ما بعده عليه »[89] ؛ أو هو « الكلام الذي يبيّن ما بعده »[90]. فهذا الرّكن أســـاســـي في فهم ما يتبع من الكلام ويتوقّف معناه عليه، لأنّه يربط متلقي القرآن بما سـبق من تسـلسـل للآيات حتى يمكّنه من إدراك معنى ما سـيلحق منها؛ ويمكن أن نمثّل لهذا الرّكن السّـــياقي بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَّخْرُجُواْ مِنَ ٱلنّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَاۖ ﴾ ســـورة المائدة – الآية : 39 – التي ذكر الطّبري فيها «أنّ نافع ابن الأزرق قال لابن عبّاس: يا أعمى البصـــر أعمى القلب، نزعم أن قوماً يخرجون من النّار، وقد قال عزوجل ﴿وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَاۖ ﴾ فقال ابن عبّاس: ويحك، اقرأ ما فوقها، هذه للكفّار[91]».

2.1.3– اللّحاق:

لغة: جاء هذا اللّفظ في المعاجم العربيّة بمعني متعدّدة نذكر منها: قول ابن فارس في معجمه مقاييس اللّغة الذي ذكر فيه أنّ «اللاّم والحاء والقاف أصلٌ يدلُّ على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره، يقال: لحِق

[88] ابن منظور– لسان العرب–ج10–ص 151.

[89] محمّد الشّهراني– السّياق وأثره في تفسير المدرسة العقليّة–ص 25.

[90] عبد الحكيم القاسم – دلالة السّياق وأثرها في التّفسير–مج1–ص 95.

[91] ابن جرير الطّبري– جامع البيان في تأويل آي القرآن – تح:عبد الله التّركي– دارهجر–ط1–القاهرة –مصر – 2001– ص 407.

فلانٌ فلانا ، فهو لاحقٌ ... وألحقته وصلت إليه »[92]؛ وقد جاء هذا معنى هذا اللّفظ عند ابن منظور في معجمه لسان العرب بقوله: « اللّحق واللّحوق والإلحاق : الإدراك ... والمصدرُ اللّحاق» [93] وبهذا يكون المعنى اللّغوي دالاّ في عمومه على إدراك الشّيء والوصول إليه.

اصطلاحا: يقصد باللّحاق :«الكلام الذي يبيّن ما قبله »[94]؛ فالرّجوع إلى ما ذكر قبل الآية يمكّننا من فهم ما بعدها وهو اللّحاق، ويمكن أن نمثّل لهذا الركن الثّاني من السّياق بالآية التّالية : وهي قوله عزّوجلّ: ﴿قَالَ رَبِّ إِرْجِعُونِ﴾ سورة المؤمنون – الآية 100 ؛ جاء في تفسير الطّبري قوله أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابنُ زيد في قوله تعالى – الآية- قال هذه في الحياة، ألا تراه يقول (سبحانه): ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ اَحَدَهُمُ اْلْمَوْتُ﴾ قال: حين تنقطع الدّنيا ويعاين الآخرة، قبل أن يذوق الموت [95] قد استدلّ المفسّر بما سبق من الآيات ليوضّح مراد المعنى اللّاحق.

2.3 أنواع السّياق القرآني:

للسّياق القرآني أربعة أنواع أساسيّة تساهم في إبراز المعنى الموجود في كلام الله تعالى – وهو القرآن الكريم – قد يختلف كل نوع منها عن الآخر لكننّا في بعض الأحيان نجدها متداخلة ومترابطة، يقول عبد الوهّاب أبو صفيّة صحاب كتاب " دلالة السّياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم " «السّياق

[92] ابن فارس- مقاييس اللّغة -ج5-ص238.
[93] ابن منظور- لسان العرب-ج10-ص 227.
[94] عبد الحكيم القاسم – دلالة السّياق وأثرها في التّفسير-مج1-ص 95.
[95] ابن جرير الطّبري- جامع البيان في تأويل آي القرآن –ج17-ص 107.

قد يضـاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أسـاسـي واحد، كما أنّه يقتصـرُ على آية واحدة ويضـاف إليها، وقد يكون له امتدادٌ في السّـورة كلّها، بعد أن يمتدّ إلى ما يسـبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضـاف إليه، بمعنى أنّ هناك: سياق الآية، وسياق النّص وسياق السّورة، والسّياق القرآني؛ فهذه الدّوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى [96]» وهذا بيانها:

– .1.2.3 سـياق الآية: وهذا النّوع يتمّ «من خلال النّظر إلى السّـابق واللّاحق من الآية الواحدة، دون ما سبقها أو لحقها من آيات أخرى »[97] ؛ فبواسطته يتمّ الكشف عن معاني الألفاظ المتشابهة، فمثلاً نجد أنّ لفظة الإحصان تدلُّ في القرآن الكريم على معان متعدّدة ومختلفة منها: الإسلام، التّزويج وغيرها وسـياق الآية هو الفيصـل في الحكم على المعنى، ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنَ اَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾سـورة النّسـاء – الآية 25 –جاء معنى الإحصـــان في هذه الآية دالا على التّزويج، وهذا ما ذكره ابن كثير في تفســـيره فقال: « الآية الكريمة سـياقها كلّها في الفتيات المؤمنات فتعيّن أنّ المراد بقوله: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾، أي تزوّجن كما فسّره ابن عبّاس وغيره [98]».

[96] عبد الوهّاب أبو صفيّة الحارثي– دلالة السّياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم –ص 88– نقلا عن: طارق بو لخاصيم–ظاهرة التّغير الدّلالي في السّياق القرآني– أطروحة دكتوراه– قسم اللّغة العربية جامعة قسنطينة1– دفعة 2017–2018– ص 116.

[97] مختار بومدين– دور السّياق في فهم القصص القرآني، قصتا آدم وإبراهيم عليهما السّلام– مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية – جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان – الجزائر – دفعة 2014/2013–ص 72.

[98] إسماعيل بن كثير–تفسير القرآن العظيم– مج2–ص 262.

– 2.2.3 سياق النّصّ أو سياق المقطع: وهذا النّوع معتمد عن كثير من العلماء في ترجيح بعض المسائل، لاسيما الخلافيّة منها ويظهر هذا النّوع كذلك في سياق القصص القرآني لوحدة الموضوع فيها فهو « ذلك المقطع الذي اتّحد غرضه »[99]؛ ويمكن أن نمثّل لهذا النّوع بما ذكره المفسّر مختار الشنقيطي من استدلال وذلك حين استند إلى هذا النّوع في إدخال زوجات النّبي – ﷺ –في آل بيته فقال: «إنّ من أنواع البيان التي تضمّنها أن يقول بعض العلماء في الآية قولاً، ويكون في نفس الآية قرينة تدلُّ على خلاف ذلك القول ... ومن أمثلته قول بعض أهل العلم: إنّ أزواجه –ﷺ– لا يدخلن في أهل بيته في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ سورة الأحزاب – الآية : 33 ؛ فإنّ قرينة السّياق صريحة في دخولهنّ ؛ لأنّ الله قال قُل لِّأَزْوَٰجِكَ سورة الأحزاب – الآية 28–ثم قال في نفس خطابه لهنّ : إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ،ثم قال بعده : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ سورة الأحزاب – الآية 34 »[100] ؛ فتبّن هنا أنّ المفسّر قد استعان بسياق المقطع في إدخاله لزوجات النّبي – ﷺ– مع آل بيته.

[99] فهد الشّتوي –دلالة السّياق وأثرها في توجيه المتشابه اللّفظي في قصّة موسى – عليه السّلام– رسالة ماجستير –كليّة الدّعوة وأصول الدّين – جامعة أم القرى– دفعة 2005–ص 43.

[100] مختار الشنقيطي – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن–إشراف: بكر أبو زيد– دار عالم الفوائد –ط1–1426هـ– مكّة المكرّمة– م ع السّعودية– ج6–ص 635.

– 3.2.3 سـياق السّـورة: ويقصـد به كما جاء عند البقّاعي لأنّه :«الأمر الكلّي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنّك تنظر الغرض الذي سيقت له السّورة »[101] ؛ وقريب من هذا المعنى يتحدّث عبد الله دراز في كتابه النّبأ العظيم عن هذا النّوع فيقول: « إنّك لتقرأ السّـورة الطّويلة المنجّمة يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حُشيت حشواً، وأوزاعا من المباني جُمعت عفواً، فإذا هي لو تدبّرت بنيةٌ متماسكةٌ قد بنيت من المقاصد الكلّية على أسس وأصول وأقيم على كلّ أصل منها شُعب وفصول ... ومن وراء ذلك كلّه يسري في جملة السّورة اتّجاه معيّن، وتؤدّي بمجموعها غرضا معيّناً »[102] ؛ فسيّاق السّورة هو مجموع الآيات المتداخلة المترابطة فيما بينها من أولها إلى آخرها التي تشكّل في مجموعها الموضوع البارز في هذه السّورة أو تلك، ويمكن التمثّيل لهذا النّوع من السّياق القرآني بما ذكره ابن القيّم في كتابه الأمثال وذلك في سورة التّحريم فقال: «في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السّورة فإنّها سيقت في ذكر أزواج النّبي – ﷺ– والتحذير من تظاهرهن عليه وأنّهن إن لم يطعن الله ورسوله ولم يردن الدّار الآخرة لن ينفعهّن اتّصالهن برسول الله –ﷺ– كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتّصالهما بهما [103]» ففي هذا بيان لربط الآية أولها بأخرها رغم اختلاف الحديث في السّورة بين أوّلها الذي كان عن نساء النّبي – ﷺ– وآخرها الذي كان عن زوجات كل من النّبي نوح ولوط – عليهما السّلام.

[101] برهان الدّين البقّاعي– نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور–ج1–ص 18.

[102] عبد الله درّاز– النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن –دار القلم – الكويّت– ص 155.

[103] ابن القيّم الجوزّية – الأمثال في القرآن الكريم –تح: سعيد محمّد الخطيب– دار المعرفة – بيروت – لبنان– 1981م– ص 266 -267.

– 4.2.3 سياق القرآن: ويقصد به: « مقاصد القرآن المطّردة ومقاصده الأساسيّة ومعانيه الكلّية [104]» ويكون ذلك على أوجه نذكر منها:

– الوجه الأول: وهو الوجه المقاصدي الذي أنزل لأجله القرآن وهو كما ذكر الطّاهر ابن عاشور في تفسيره :«مجموع في ثمانيّة أمور: أوّلها: إصلاح الاعتقاد، وثانيها: تهذيب الأخلاق، وثالثها: التّشريع، ورابعها: سياسة الأمّة وصلاحها وحفظ نظامها، وخامسها: القصص وأخبار الأمم السّالفة للتّأسي بصالح أعمالهم، وسادسها: التعلّم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهّلهم إلى تلقّي الشّريعة ونشرها، وسابعها: المواعظ والإنذار والتّحذير والتّبشير، وثامنها: الإعجاز بالقرآن آية دالّة على صدق الرّسول – ﷺ » [105] ؛ فهذه المواضيع الثّمانية المبتغاة من سياق القرآن.

الوجه الثّاني: اطّراد الأساليب القرآنيّة، وهذا الوجه غالبٌ في جلِّ السّور والآيات، يقول الشّاطبي: «إذا ورد في القرآن التّرغيب قارنه التّرهيب في لواحقه وسوابقه أو قرائنه وبالعكس، وكذلك الترجَيةُ مع التّخويف [106]»؛ والأمثلة في القرآن على ذلك كثيرة نذكر منها: قوله عزّوجل: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّيَ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلأَلِيمُ ﴾ سورة الحجر الآيتان 49 –50؛ ففي هذه الآية جمعٌ بين التّرغيب والتّرهيب.

[104] مختار بومدين– دور السّياق في فهم القصص القرآني –ص 97.

[105] الطّاهر ابن عاشور–التّحرير والتّنوير– الدّار التّونسيّة–1984م–ج1–ص 39–40.

[106] الموافقات – الشّاطبي– تح: محمّد دراز وعبد الله دراز– دار الكتب العلميّة– بيروت – لبنان– ط1–2004م–ص 683.

الوجه الثّالث: المعاني الكليّة أو كليّات الألفاظ، ونعني بها: « المعاني الكليّة الثّابتة للألفاظ والّتي يمكن أن يصيبها الاطّراد [107]» والأمثلة على ذلك كثيرةٌ نقلها الزّركشي في كتابه البرهان منها: أنّ « كلّ ما في القرآن "حسرة" فهو النّدامة؛ كقوله تعالى: ﴿يَـٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ ﴾ سورة يس – الآية 30؛ إلاّ التي في سورة آل عمران: ﴿ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡۗ ﴾ سورة آل عمران الآية 156-؛فإنّه يعني به " حزنا" [108]». وهذا الوجه يتطلّب استقراء دقيقا لألفاظ القرءان ومعرفة لمعاني تلك الألفاظ.

ويستخلص من هذا الفصل أنّ السّياق من المصطلحات القديمة التي عرفت في التراث العربي عبر المحطّات التراثية التي تطرّقنا إلى أهمّها، والتي استخلصنا من خلالها إلى توظيف أولئك الأوائل إلى الكثير من مفاهيمه كاستخدامهم للمقام والمقال، واستعانتهم بالقرائن في شرح بعض المسائل وبخاصّة البلاغيّة منها و الأصوليّة، وكادت أبحاثُهم تقارب إلى حدٍّ بعيد المفاهيم المستخدمة للسياق في علم اللّغة الحديث – إن لم نقل قاربتها-مع اختلاف جوهري في الدّراسة، وفي مقابل ذلك نجد أنّ السّياق في الفكر اللّغوي الغربي قد تدرّج عبر مراحل لعلّ أهمها المرحلة الأولى وهي المرحلة الأساسية في الفكر اللّغوي الغربي عموماً مع ما أحدثه سوسير، تليها المرحلة الثّانية مع كل من فندرس و ياكبسون ثمّ

[107] مختار بومدين- دور السّياق في فهم القصص القرآني - ص 84.

[108] برهان الدّين الزّركشي – البرهان في علوم القرآن- تح: محمّد أبو الفضل – مكتبة دار التراث – القاهرة-مصر-ص 105.

المرحلة الثّالثة التي كانت على يد مالينوفسكي وأخيرا الوصول إلى النّظرية على يد فيرث، وأمّا في آخر المباحث فتحدّثنا عن السّـياق القرآني الذي يعدّ محور هذا البحث ككلّ فتطرّقنا بداية إلى ذكر تعريفه وأركانه إلى أن وصلنا إلى ذكر أنواعه الأربعة: سياق الآية، سياق المقطع، سياق السّورة، السّياق العامّ للقرآن الذي حمل أوجه ذكرنا منها ثلاثة أوجه أساسية.

الفصل الثّاني:

❖ نماذج تطبيقية لألفاظ لغويّة واردة

بدلالات مختلفة في السّياق القرآني

– لقد اهتمّ علماء اللّغة العربية على غرار علماء اللّغات بالألفاظ، ومعانيها، وأولوها اهتماما بالغا، فانصبّ اهتمامهم بالدّراسة الشّاملة لها، وبكلّ ما يقع عليها من ترادف أو تضاد أو غيرها، غير أنّ اهتمام علماء العربيّة بالمعجم العربي ممّا هو معروف عليه حاليّا من نّاحية التّرتيب والتّصنيف كان متأخرا، «وأوّل ما أبداه علماء العربيّة من قضيّة المعجم العربي كان متعلّقاً أساساً بالبحث في غريب القرآن الكريم، والذي ظهر في فترة مبكّرة ينسبها الكتّاب إلى الصّحابي الجليل ابن عبّاس –رضي الله عنهما– فكانت هذه الفترة بمثابة النّواة الأولى للعمل المعجميّ، ولعلّ السّبب الأساسيّ في ذلك راجع إلى الخوف على الذكر الحكيم من أن يقع فيه الخطأ سواء في النّطق أو الفهم خصوصا مع دخول الأعاجم للإسلام؛ ثمّ توالت الأعمال المعجميّة من مرحلة لأخرى، فكانت بداياتها الأولى تتعلّق بالرّسائل اللّغوية [1]» ثمّ تطوّرت من مرحلة إلى أخرى واختلفت طبيعة دراستها كذلك، إلى أن وصلت في زماننا هذا إلى التأليف في المعاجم المتخصّصة، كما اهتمّ علماء العربيّة في مرحلة متقدّمة بألفاظ القرآن الكريم المتشابهة فيما أسموه " الوجوه والنّظائر" وألّف فيها العديد من الكتب، وتناولته العديد من الدّراسات وفي هذا السّياق حاولت من خلال هذا الفصل أن أتطرّق إلى بعض الألفاظ المتشابهة الواردة في القرآن الكريم وأبيّن معانيها المعجميّة التي اختلفت في السّياق القرآني من سياق إلى آخر، وهو – أي العمل بالسّياق – عمل معتمد عند المفسّرين في تفسير ألفاظ القرآن وتراكيبه يقول السّعدي: « قد كثرت تفاسير الأئمة – رحمهم الله – لكتاب الله فمن مطوّل خارج في أكثر بحوثه

[1] ينظر– عبد الحميد أبو سكّين – المعاجم العربيّة مدارسها ومناهجها – الفاروق الحدثيّة –ط2– 1981م– ص 17–19.

عن المقصـود ومن مختصـر يقتصـر على حلِّ بعض الألفاظ اللّغوية بقطع النّظر عن المراد، وكان الذي ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود واللّفظ هو الوسيلة إليه، فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر .... فالنّظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرّسول – ﷺ – وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعينُ على معرفته وفهم المراد منه».[2]

وسـنعرض فيما يلي جملة من النّماذج لألفاظ وردت في القرآن الكريم، وتغيّر معناها من سـياق قرآني لآخر وقبل ذلك ننظر إلى دلالاتها المعجمية وهذه النّماذج هي:

– النّموذج الأول : لفظة الرّحمة :

ورد لفظ الرّحمة في المعاجم العربية بمعان متعدّدة ومختلفة وإن كانت تشـترك في المعنى المركزي، فقد جاء معناها عند ابن فارس في معجمه مقاييس اللّغة بقوله: « الرّاء والحاء والميم أصل واحد يدلُّ على الرِّقة والعطف والرّأفة »[3]؛ وجاء معناها عند ابن منظور: « الرّقة والتعطّف، والمرحمة مثله وقد رحمته وترحّمت عليه، وتراحم القوم رحم بعضهم بعضا، والرّحمة المغفرة»؛ وعلى هذا الذي ذكرنا فإنّ الدّلالة المعجمية للفظة الرّحمة تدلُّ على الرّقة والتعاطف، وما يبيّنُ معناها بشـكل أكثر هو ورودها في السّـياق فقد

[2] عبد الرّحمن السعدي – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان – تح: عبد الرحمن اللّويحق– دار الإمام مالك – الجزائر – ط1– 2009ص 05.

[3] ابن فارس – مقايس اللّغة – مصدر سابق – ج2–ص489.

ذكرت هذه اللّفظة في السّياق القرآني في عدّة مواضع بصيغ متعددّة وفي مواضع مختلفة، أذكر منها الآيات التّالية:

- قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلاَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ سورة آل عمران – الآية 159. جاء تفسير هذه الآية عند ابن عطيّة في تفسيره كالتّالي: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾؛ «تكون الرّحمة امتنّ الله بها عليهم ... وقيل متعلّق الرّحمة المخاطب عليه الصلاة والسّلام، أي برحمة الله إيّاك جعلك ليِّن الجانب موطأ الأكتاف فرحمتهم ولِنت لهم ولم تؤاخذهم بالعصيان والفرار ... ويُحتمل أن يكون متعلِّق الرّحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأن جعله على خلق عظيم وبعثه بتميم محاسن الأخلاق بأن ليّنه لهم » [4] ؛ وعليه فإنّ معنى الرّحمة في هذه في هذا السّياق جاء بمعنى الإحسان.

- قوله تعالى: ﴿ إِن ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَالذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۙ أُوْلَـٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة البقرة – الآية 216؛ ذكر الطّبري في تفسيره معنى هذه الآية ﴿ أُوْلَـٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ بقوله: « الذين يطمعون أن يرحمهم الله فيدخلهم جنّته بفضل رحمته لهم »[5]، فمقصود الرّحمة هاهنا كما ذكر ذلك المفسّر هو الجنّة، وقد ذهب بعض المفسرين إلى

[4] أبو حيّان الأندلسي – البحر المحيط في التّفسير-تح: زهير جعيد- دار الفكر – بيروت- لبنان- 2010-ص 407.

[5] ابن جرير الطّبري – جامع البيان في تأويل آي القرآن -ج3-ص 667.

أنّ معناها الثّواب ومن هؤلاء سـعد بن حصـين وأبو السّـعود [6] وبذلك تكون معنى الرّحمة في الآية الكريمة كما ذكر ذلك المفسّرون هو الجنّة والثّواب وكلاهما قريب من بعضه البعض.

- قولـه تعـالى:﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سـورة الأنعام – الآية 55- ذكر أبو حيان في تفسـير قوله عزوجلّ :﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ معناها بقوله: «..أوجبها والباري تعالى لا يجب عليه شـيء عقلا إلاّ إذا علمنا أنّ حـتم بشيء فذلك الشّيء واجب، وقيل كتب بمعنى وعد ... وفي صحيح البخاري: " أن الله تعالى كتب كتابا فهو عنده فوق العرش أنّ رحمتي سـبقت غضـبي " ، وهذه الجملة مأمور بقولها تبشـيرا لهم بسعة رحمة الله وتفريجها لقوبهم »[7] .

وبذاك يكون معنى الرّحمة في الآية الكريمة دالاً على المغفرة، وهذا المعنى نفسـه ذهب إليه السّـيوطي في كاتبه الإتقان [8].

- قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلذِے يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ نُشُرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ سـورة الأعراف-الآية 56؛ جاء تفسـير هذه الآية عند الشّـوكاني بقوله: «هذه الآية معطوفة على قوله تعالى:﴿ يُغْشِے ٱلَيْلَ

[6] ينظر – سعد بن حصين – مهذب الجلالين – ط1- 2002-ص 38 و أبو السّعود – إرشاد العقل السّليم -دار إحياء التراث -لبنان -بيروت – ص 281.

[7] أبو حيّان الأندلسي- البحر المحيط في التّفسير-ج4-ص 528.

[8] ينظر- جلال الدّين السيوطي – ص 304.

ٱلنَّهَار﴾، وهو يتضـــمّن ذكر نعمة من النّعم التي أنعم بها على عباده، مع ما في ذلك من الدّلالة على وحدانيته وثبوت إلهيته، والرّياح جمع ريح وروح وقرأ أهل الحرمين وأبو عامر{نُشُـراً} بضـمّ النّون والشّين جمع ناشر على معنى النّسب أي ذات نُشر، وقرأ الحسن وقتادة وابن عامر {نُشْراً} بضمّ النّون وإسكان الشّين من نشر، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي {نَشراً} بفتح النّون وإسكان الشّين على المصدر يجوز مصدراً في موضع الحال؛ ومعنى هذه القراءات يرجع إلى النّشر الذي هو خلاف الطّي فكان الرّيح مع سكونها مطويّة ثمّ ترسل من طيها فتصيرُ كالمنفتحة، وقال أبو عبيدة معناه متفرّقة في وجهها على معنى ننشُرها هاهنا وهاهنا وقرأ عاصم {بشْراً} بالباء الموحدة وإسكان الشّين جمع بشير؛ أي لريّاح تبشّر بالمطر ومثله قوله تعالى: ﴿ وهو الذي يرسل الريّاح مبشرات﴾– سورة الرّوم – الآية 46- وأمّا قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ أراد بالرّحمة هنا المطر أي قدّام رحمته؛ والمعنى أنّه سبحانه يرسلُ الريّاح ناشرات ومبشرات بيت يدي المطر»[9] فَفُهم من خلال السّياق أنّ معنى الرّحمة في الآية الكريمة جاء بمعنى المطر وهذا المعنى مفهوم من خلال ظاهر الآية والمعنى نفسه – أي المطر- نقله السّيوطي في كتابه الإتقان [10] .

- قولـه تعـالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ سـورة الحديد – الآية 26- ذكر الشّـوكاني في

[9] محمّد الشّوكاني – فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية في علم التّفسير –تح: يوسف الغوشي –دار المعرفة –بيروت – لبنان –ط4- 2007م- ص 480.

[10] ينظر – جلال الدّين السّيوطي – الإتقان في علوم القرآن – ص 304.

تفسيره أنّ :« الذين اتّبعوه هم الحواريّون جعل الله في قلوبهم مودّة لبعضهم البعض ورحمة يتراحمون بها بخلاف اليهود فإنّهم ليسوا كذلك، وأصل الرّأفة اللّين والرّحمة الشّفقة وقيل الرأفة أشدُّ الرحمة »[11]، فالمراد بالرّحمة في الآية الكريمة هو المودّة، وهذا المعنى ذهب إليه كذلك الدّامغاني في كتابه – قاموس القرآن –واستدلّ على هذا المعنى بقوله عزوجل: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُول ٱللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾–سورة الفتح الآية 29–أي متوادّين [12].

وعلى هذا تكون دلالة الرّحمة المعجمية تدور دلالاتها حول الرّقة والتّعاطف وأمّا السّياق القرآني فقد غيّر معناها تبعا لكل سياق إلى: الإحسان، الجنّة، المغفرة، المطر، المودّة.

– النّموذج الثّاني : لفظة النّور

جاءت هذه اللّفظة كغيرها بمعان متعدّدة في المعاجم العربية ومن ذلك أذكر: ما أورده ابن فارس في معجمه مقاييس اللّغة فذكر أنّ: « النّون والوّاو والرّاء أصل واحدٌ يدلّ على اضاءة واضطراب وقلّة ثبات، ومنه النّور والنّار »[13]؛ وأمّا الفيروز أبادي فجاء في قاموسه أنّ «النّور بالضّم : الضّوء أيًّا كان أو إشعاعه، جمع أنوار ونيران وقد نار نوراً » [14].

[11] محمد الشّوكاني – فتح القدير –ص 1462.

[12] ينظر– الدامغاني – قاموس القرآن – تح: عبد العزيز الأهل – دار العلم للملاين– بيروت – لبنان –ط4–1883م–ص 201.

[13] ابن فارس – مقايس اللّغة – ج5– ص368.

[14] الفيروز أبادي – القاموس المحيط –ص 488.

وبناء على ما تقدّم ذكره فإنّ الدّلالة المعجمية للفظة النّور تدلّ على الإضاءة وهذا ما ذكر في المعجم.

أمّا في القرآن الكرم فقد ورد هذا اللّفظ في سياقات متعددّة بصيغ مختلفة ومعان متغايرة ومما جاء في القرآن الكريم عن هذا اللّفظ أذكر:

- قوله عزوجّل:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلذِينَ ءَامَنُوايُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى لنُّورِ ﴾سورة البقرة – الآية 256 ؛ جاء تفسير هذه الآية عند أبي حيّان الأندلسي بقوله :«الوليُّ هنا هو النّاصر والمعين أو هو المحبُ أو متولي أمورهم، ومعنى "ءَامَنُواْ " أرادوا أن يؤمنوا، والظُّلمات هنا الكفر والنّور الإيمان قاله قتادة الضّحاك والرّبيع، قيل جمعت الظّلمات لاختلاف الضّلالات، ووحِّد النّور لأنّ الإيمان واحد»[15]. وهذا المعنى -أي الإيمان -قد ذُكر في قوله عزّوجلّ:﴿ أَلَٓرٰ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ سورة إبراهيم – الآية 02- حيث علّق على هذه الآية الشّوكاني على هذه الآية بقوله: « لتخرجهم من ظلمات الكفر والجهل والضّلالة إلى نور الإيمان والعلم والهداية »[16] ، وعلى هذا فإنّ أفضل أنواع التّفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، كما ذكرنا في المثال السّابق، ولهذا يكون معنى النّور في الآية الكريمة دالاً على الإيمان.

[15] أبو حيّان الأندلسي -البحر المحيط في التّفسير – ج2-ص618.

[16] محمّد الشّوكاني -فتح القدير – ص 736.

- قوله عزّوجلّ: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة الزّمر- الآية 21- تعدّدّت معاني النّور في الآية الكريمة وممّا جاء في أقوال المفسرين أذكر ما أورده الطّبري في تفسيره عن الآية الكريمة فقال: « أفمن فسح الله قلبه لمعرفته والإقرار بوحدانية والإذعان لربوبيّته والخضوع لطاعته ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فهو على بصيرة ممّا هو عليه ويقين بتنوير الحق في قلبه، فهو على لذلك الأمر متّبع وعما نهاه منتهٍ فيما يرضيه"؛ ثم ساق لذلك أقوالا للمفسّرين منها قول قتادة الذي ذكر معنى قوله عزّوجلّ: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ بقوله:كتاب الله به يأخذ المؤمن وإليه ينتهي... »[17]؛ وبذلك يكون معنى النّور في الآية الكريمة دالاً على القرآن الكريم وهو مبيّنٌ في تفسير لحاق الآية التي فسّرها الطّبري بقوله: « المراد بالقسوة من ذكر الله على أنّها الإعراض عن القرآن الكريم »؛ وهذا المعنى كذلك وافقه "سعد بن حصين في تفسيره"[18].

قوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُوراً فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ سورة النّور- الآية 39- ذكر الشّوكاني تفسير هذه الآية على أنّها «مقرّرة لما قبلها كون أعمال الكفرة على تلك الصّفة، وقيل المعنى ومن لم يجعل الله هداية فماله من هداية، قال الزّجاج: ذلك في الدّنيا والمعنى من لم يهده الله لم يهتد،

[17] ابن جرير الطّبري – جامع البيان في تأويل آي القرآن- ج20-ص 189.

[18] ينظر -ابن جرير الطّبري – جامع البيان في تأويل آي القرآن – ج 20-ص 190 وسعد بن حصين مهذب الجلالين – ص 461.

وقيل المعنى من لم يجعل الله نورا يمشـــي به يوم القيامة فماله من نّور يهتدي به إلى الجّنة »[19] ؛وعليه فإنّ معنى النّور في الآية الكريمة جاء بمعنى الهداية كما ذكر ذلك المفسّر، والمعنى نفسه ذكره سعد بن الحصـــين في تفسيره [20] .

- قوله عزّوجـــــــــل: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ بُشْرِيٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا ٱلاَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

سورة الحديد – الآية 12- جاء تفسير هذه الآية عند الشّوكاني بقوله: « العامل في الضّرف مضمر وهو أذكر أو كريم أو فيضاعفه أو العامل في لهم وهو الاستقرار، والخطاب لكل من يصـــــــلح له . وقوله عزّوجلّ: ﴿يَسْعَى نُورُهُم﴾ في محلّ نصب على الحال من مفعول ترى والنّور هو الضّياء الذي يُرى ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم ﴾ وذلك على الصّـــراط يوم القيامة» [21]" وعليه فإنّ معنى النّور في الآية الكريمة هو الضّياء الذي يُضاء به المؤمنون يوم القيامة، و هذا المعنى مذكور بأثر عند السّيوطي في كتابه " الدّرر المنثور " والذي جاء فيه: «أخرج ابن الحاتم من وجه آخر عن أبي أُمامة قال" تبعت ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفّه حتّى يبعث الله بالنّور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتّبعهم المنافقون فيقولون ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ » [22].

---

[19] محمّد الشّوكاني – فتح القدير – ص 1019.

[20] ينظر – سعد بن الحصين – مهذب الجلالين – ص 365.

[21] محمّد الشّوكاني – فتح القدير- ص 1457.

[22] جلال الدّبن السّيوطي- الدّرر المنثور في التّفسير بالمأثور- دار الفكر – ج8- بيروت – لبنان -2010م-ص 58.

- قوله عزوجل:﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُّطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَابَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَنْ يُّتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ سورة التّوبة – الآية 32- جاء تفسير هذه الآية عند السّيوطي بقوله: « أخرج ابن أبي حاتم عن السّدي -رضي الله عنه- في تفسير هذه الآية قال الإسلام بكلامهم؛ وأما عن الضحّاك فقد قال: يريدون أن يهلك محمّد - ﷺ- بأن لا يعبدوا الله بالإسلام في الأرض، ويعني بها كفّار العرب وأهل الكتاب من حارب منهم النّبي - ﷺ- وكفر بآياته »[23]؛ فهذ المعاني التي ذكرها المفسّرون كلّها صريحة في تبيان معنى النّور في الآية الكريمة بالإسلام.

ومّا سبق نستخلص أنّ دلالة النّور المعجميّة قد دار معناها حول الإضاءة، وأمّا معنى هذه اللّفظة في السّياق القرآني فقد اختلف من سياق لآخر حسب الآيات الوارد فيها فجاء بمعان ذكرنا منها: الإيمان، القرآن، الهداية، الضّياء، الإسلام.

- النّموذج الثّالث: لفظة السّلم

ذكر أصحاب المعاجم العربية معاني متعدّدة لهذه اللّفظة في كتبهم، فقد جاء معناها في معجم مقاييس اللّغة لابن فارس على أنّ: « السّين واللّام والميم معظم بابه من الصّحة العافية، فالسّلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى ... والسِّلام : المسالمة »[24] ؛ وأما معجم لسان العرب لابن منظور فجاء

[23] جلال الدّين السّيوطي- الدّرر المنثور في التّفسير بالمأثور- ج4-ص 175.

[24] ابن فارس – مقايس اللّغة – ج3-ص 91.

فيه: «السّـلام والسّـلامة: البراءة وتسـلّم منه تبرأ، وقال ابن الأعرابي السّـلامة العافية [25]»؛ وعلى هذا يتّبين أنّ الدّلالة المعجمية للفظة السّـلم تدور معانيها حول البراءة والعافية، وأمّا في القرآن الكريم فقد ورد هذا اللّفظ في سياقات مختلفة بمعاني متعددّة وبصيغ شتّى وممّا جاء في القرآن الكريم أذكر:

- قولّه عزّ وجلّ: ﴿وَالله يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِے مَنْ يَّشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾سـورة يونس الآية 25- ذكر الطّاهر ابن عاشور في تفسيره " التّحرير والتّنوير" « أنّ معنى دار السّلام هي الجنّة واسـتدلّ على ذلك بقوله تعالى:﴿ لَهُم دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ سـورة الأنعام – الآية 128»؛ فتبيّن من خلال تفسير الآية بالآية الأخرى أن دار السّلام هي الجنّة، وهذا ظاهر من خلال سياق الآية أيضا، والمعنى نفسه موجود في تفسير المهذّب لسعد بن حصين وقد جاء فيه: « أنّ الله عزّوجل يدعو إلى دار السّـلام والتي هي الجنّة بالدّعاء إلى الإيمان »[26]؛ وبذلك يكون معنى السّـلم المضاف إلى الدّار في هذه الآية الكريمة دالاّ على الجنّة.

- قوله عزّوجل: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ سـورة الأنفال- الآية 61 ؛ ذكر سعد بن حصين تفسير هذه الآية بقوله: «المراد بقـولـه تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا﴾ أي مالوا ﴿لِلسَّلْم ﴾بكسر السّين وفتحها الصُّلح ﴿فَاجْنَحْ لَهَا ﴾وعاهدهم، قال ابن عبّاس :هذا منسـوخ بآية السّـيف وقال مجاهد مخصـوص بأهل الكتاب إذ نزلت في بني قريظة، وأما قوله:

[25] ابن فارس – لسان العرب – مج 12-ص 289.

[26] ينظر- سعد بن الحصين - مهذّب الجلالين – ص 211.

﴿وَتَوَكَّل عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي ثق بأنّه هو السّـــميع للقول والعليم بكل شـــيء [27]»؛ فبعد أن جاء في الآية السّـــابقة ذكر للعدّة والقوّة التي يتطلّب على المؤمنين تجهيزها في حالة الحرب وذلك في قوله عزّوجل: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ أخبره أنّه إن أرادوا الصّلح فأرده، و لذلك فجاء معنى السّلم في الآية الكريمة دالاً على الصّلح، والمعنى نفسه ذكره السّيوطي كذلك في تفسيره، وهو منقول عن السّدي والذي جاء فيه: «إذا أرادوا الصّلح فأرده» [28] .

- قوله عزّوجل: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ ســـورة القدر- الآية 05- ذكر الطّاهر بن عاشور تفسير هذه الآية بقوله: «.. وجملة: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ بيان من كلّ أمر وهو كالاحتراس لأنّ تنزّل الملائكة يكون للخير ويكون للشّر لعقاب مكذبي الرّسل قال تعالى: ﴿ مَا تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذاً مُّنظَرِينَ ﴾ سورة الحجر – الآية 08؛ وقال: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لاَ بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ سورة الفرقان – الآية 22؛ وجمع بين إنزالهم للخير والشّر في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ ٱلاَعْنَاقِ ﴾ ســـورة الأنفال- الآية 12؛ فأخبر هنا أنّ تنزّل الملائكة ليلة القدر تكون لتنفيذ أمر الخير للمســـلمين الذين صـــاموا رمضـــان وقاموا ليلة القدر فهذه

[27] المرجع نفسه – ص 185.

[28] ينظر- جلال الدّين السيوطي- الدّرر المنثور في التّفسير بالمأثور- ج4-ص 98.

بشارة لهم، والسّلام مصدر أو اسم مصدر ... يطلق – السّلام – على التّحية والمدحة وفسّر السلام بالخير والمعنيان حاصلان في هذه الآية »[29]، وهذا يعني أنّ معنى السّلم في الآية جاء دالاً على التّحية والخير.

– قوله عزّوجلّ: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ سورة الفرقان – الآية 63– جاء تفسير هذه الآية عند الشّوكاني بقوله: «... ذكر سبحانه أنهم – أي عباد الرّحمن – يتحمّلون ما يرد عليهم من أذى أهل الجهل والسّفه، فلا يجهلون مع من يجهل ولا يُسافهون أهل السّفه؛ قال النّحاس ليس هذا السّلام من التّسليم وإنّما من التّسلُّم، تقول العرب سلاما أي تسلُّماً منك بمعنى براءة منك ... وقال مجاهد معنى سلاماً أي سداداً »[30]؛ وعلى هذا الأساس فإنّ معنى السّلم في الآية الكريمة جاء دالّا على البراءة والسّداد.

– قوله عزّوجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسَّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ سورة البقرة – الآية 206– اختلف المفسّرون في معني السّلم في الآية الكريمة على عدّة أقوال ولعلّ أشهرها كان بمعنى الإسلام وهذا ما ذكره سعد بن حصين في تفسيره،

[29] الطّاهر بن عاشور – التّحرير والتّنوير–ج30–ص 465.

[30] محمّد الشّوكاني – فتح القدير– ص 1048.

وهو كذلك عند الدّامغاني في كتابه، وأورد السّيوطي كذلك في تفسيره: «قولا لابن عبّاس يوافق هذا المعنى »[31].

ونستخلص ممّا سبق ذكره أنّ لفظة السّلم جاءت دلالتها المعجمية دالّة على العافية، واختلفت معانيها في القرآن الكريم من سياق قرآني لآخر فقد جاءت معانيها كالتّالي: الجنّة، التّحية والخير، البراءة، الإسلام.

-النّموذج الرّابع : لفظة الرّشد

جاء هذا اللّفظ في المعاجم العربية بمعاني مختلفة منها ما جاء في معجم مقاييس اللّغة لابن فارس الذي ذكر فيه أنّ: « الرّاء الشين والدّال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على استقامة الطّريق، والرُّشد والرَّشدُ خلاف الغيّ وأصاب فلانٌ من رُشداً رَشُداً ورِشدة[32] »؛ وأمّا معنى هذا اللّفظ في معجم لسان العرب لابن منظور فجاء كالتّالي: « الرُّشدُ والرَّشدُ والرَّشادُ نقيضُ الغي ورَشد الإنسان بالفتح يرشدُ رُشداً بالضّم ورَشد ورشاداً فهو راشدٌ ورشيدٌ، وهو نقيضُ الضّلال ومن أسمائه عزّوجل الرّشيدُ: هو الذي أرشدَ الخلق إلى مصالحهم أي هداهم و دلّهم عليها »[33].

[31] ينظر- سعد بن حصين – مهذّب الجلالين – ص 33 والدّامغاني – قاموس القرآن- ص 245- وجلال الدّين السّيوطي

[32] ابن فارس –مقاييس اللّغة – ج2-ص 398.

[33] ابن منظر- لسان العرب- مج3- ص175.

وعلى ذلك تكون الدّلالة المعجمية للفظة الرّشد بمعنى الهداية والاستقامة، وأمّا معناها في القرآن الكريم فقد جاء متعدّدا في سياقات قرآنية مختلفة نذكر منها:

- قوله عزّوجلّ: ﴿ وَابْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ سورة النّساء – الآية 06- جاء تفسير هذه الآية الكريمة عند ابن كثير كالتّالي: « ﴿ وَابْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ أي اختبروهم وهذا المعنى ذكره ابن عبّاس ومجاهد والحسن والسّدي ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ ﴾ قال مجاهد أي الحلم ... ﴿ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ قال سعيد بن جبير أي صلاحاً في دينهم وحفظا لأموالهم، وكذا روى ابن عبّاس والحسن البصري وغير واحد من الأئمة» ؛ فجاء معنى الرّشد في الآية دالاّ على الصّلاح أي: اختبروهم حتى يبلغوا الحلم فإذا بلغوه وآنستم منهم صلاحا ف " ادفعوا إليهم أموالهم "، وهذا المعنى ذهب إليه كذلك كلٌّ من الألوسي وسعد بن الحصين في تفسيرهما [34].

-قوله عزّوجل:﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ سورة الكهف- الآية 34- جاءت دلالة لفظة الرّشد في الآية الكريمة بمعاني متقاربة عند المفسّرين في هذه الآية الكريمة، فجاءت بمعنى :« الهداية عند سعد بن الحصين في تفسيره» [35]، وعند البغوي كذلك: « جاءت بهذا المعنى أيضا في تفسيره واستدلّ على ذلك بقوله عزّوجل: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ

[34] ينظر- شهاب الدّين الألوسي -روح المعاني -ج4-ص 205 و سعد بن حصين – مهذّب الجلالين-ص78.

[35] ينظر- سعد بن حصين – مهذّب الجلالين -ص 296.

فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ سورة الحجرات – الآية 08- [36]»؛ وهي بمعنى الصواب عند الدّامغاني[37]؛ وبذلك يكون معنى الرّشد في الآية الكريمة كما ذكر ذلك المفسرين دالا على الهداية والصّواب.

- قوله عزّوجل: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ سورة هود- الآية 77- اختلف أهل التّفسير في معنى الرّشيد في الآية الكريمة على عدّة أقوال نذكر منها ما نقله البغوي في تفسيره حيث قال: « الرّشيد الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وممن قالوا بهذا ابن إسحاق، الرّشيد: الذي يقول لا إله إلاّ الله وممن قال هذا عكرمة، الرّشيد: الصّالح السّديد وهو قول المفسّر – صاحب الكتاب –[38]»" وأمّا الطّاهر بن عاشور فجاء في تفسيره قوله: «إنّ في الآية إنكار وتوبيخ جاء بصيغة الاستفهام و"منكم" بمعنى بعضكم أنكر عليهم تمالؤهم على الباطل وانعدام الرّجل الرّشيد فيهم وهو من يتفطّن إلى ما هم فيه فينهاهم »[39]؛ ويمكن جمع هذه الأقوال الواردة في

[36] ينظر- بن مسعود البغوي – معالم التّنزيل – تح: محمّد عبد الله وآخرون- دار طيبة – الرّياض- م ع السّعودية – مج7- ص339.

[37] ينظر-الدّامغاني -قاموس القرآن-ص 206.

[38] ابن مسعود البغوي – معالم التّنزيل- ص 192.

[39] الطّاهر بن عاشور- التّحرير والتّنوير -ج12- ص 129.

الآية الكريمة حول معنى الرّشيد على أنّه الرّجل الصّالح العاقل المتفطّن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويذكّر بلا إله إلاّ الله.

- قوله عزّوجلّ:﴿ لآَ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَنْ يَّكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُومِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ إِسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لاَ إِنفِصَامَ لَهَاۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة – الآية 255- ذكر النّيسابوري[40] سبب نزول هذه الآية بقوله: «أخبرنا محمّد بن موسى بن الفضل قال: حدّثنا إبراهيم بن مرزوق قال: حدثنا وهب بن جرير قال: عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لآَ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ قال: كانت المرأة من الأنصار لا يكاد يعيش لها ولد فتحلف لئن عاش لها ولد لتهودنّه، فلمّا أجليت بنو النّضير إذا فيهم أناسٌ من الأنصار، فقالت الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا فأنزل الله تعالى: ﴿ لآَ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ قال سعيد بن جبير: فمن شاء لحق بهم ومن شاء دخل في الإسلام »[41] ؛ وذِكرنا لسبب نزول هذه الآية كان مُمهّدا لأقوال المفسّرين في تبيان معاني الرّشد في الآية الكريمة فقد ذكر "البغوي أنّ معناها: «هو الإيمان والحق» والمعنى نفسه ذكره "الشّوكاني "[42].

[40] النّيسابوري هو علي بن أحمد بن محمّد الإمام الحبر العلاّمة المفسر أبو الحسن المثوبي النيّسابوري الشافعي – توفي 468- راجع -ديوان الإسلام – ابن الغزي- ج4-ص 383.

[41] أبو الحسن النيسابوري – أسباب النّزول- إشراف: لجنة تحقيق التراث-مكتبة الهلال – بيروت-ط2-1985- ص 59.

[42] ينظر- بن مسعود البغوي – معالم التّنزيل-مج 1-ص 314 و محمّد الشّوكاني – فتح القدير -ص 177.

- قوله عزّوجلّ: ﴿ قُلِ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ رَشَداً ﴾ سورة الجّن – الآية 21-ذكر الشّوكاني تفسير هذه الآية بقوله: « لا أقدر أن أدفع عنكم ضرّا ولا أسوق لكم خيرا، وقيل الضّر الكفر والرّشدُ الهدى والأوّل أولى لوقوع النّكرتين في سياق النّفي »[43]. فنبيّ الله محمّد ﷺ قال لقومه بأنّه لا يقدر دفع شر عنهم ولا يملك أن يسوق لهم خيرا، فجاء معنى الرّشد في هذه الآية دالاّ على الخير، والمعنى نفسه ذهب إليه كلّ "من سعد بن حصين " و"البغوي "في تفسيرهما [44].

ويظهر ممّا سبق ذكره أنّ الدّلالة المعجمية للفظة الرّشد جاءت بمعنى الهداية والاستقامة؛ وأمّا في القرآن الكريم فتعدّدت معانيها إلى: الصّلاح، الهداية والصّواب، العقل والتّفطن، الإيمان، الخير.

النّموذج الخامس: لفظة الرّوح

ذكر أصحاب المعاجم معاني متعدّدة لهذه اللّفظة في معاجمهم ومن ذلك نجد ابن فارس يذكر معناها في معجمه مقاييس اللّغة قائلا: « الرّاء والواو والحاء أصلٌ واحدٌ كبيرٌ مطّرد يدلُّ على فسحة واضطراد، وأصل ذلك كلِّه الرّيح، وأصلُ الياء في الرّيح الواو وإنما قلبت ياءً لكسرة ما قبلها فالرّوح روحُ الإنسان وإنما هو مشتقٌ من الرّيح وكذلك الباب كلّه »[45]؛ وأما لسان العرب لابن منظور فجاء فيه: «الرّيحُ نسيم الهواء وكذلك نسيم كلِّ شيء وهي مؤنّثة، وفي التّنزيل:﴿... كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا

[43] محمّد الشّوكاني – فتح القدير –ص 1541.

[44] ينظر – سعد الحصين – مهذب الجلالين –ص 537 و البغوي – معالم التّنزيل- مج8–ص 242.

[45] ابن فارس – مقاييس اللّغة – ج2–ص454.

صِرٌّ اَصَابَتْ حَرْثَ فَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ سورة البقرة –الآية 263؛ والرّيحةُ طائفةٌ من الرّيح ... وفي الحديث الرّيح من رّوح الله أي من رّحمته... والرَّوح بالفتح نسيم الهواء، والرّوح أيضا السّرور والفرحُ وبالضّم النّفخ [46]».

وعلى هذا تكون الدّلالة المعجمية للفظة الرّوح بمعنى الرّحمة والرّيح والسّرور ولا يمكن حصر المعنى في وصف دقيق لوجود اضطراد كبير فيها ولعلّ أهم ما يوضّح معنى اللّفظة هو تواجدها في السّياق، وعلى هذا فقد ورد هذا اللّفظ في السّياق القرآني في عدّة مواضع نذكر منها ما يلي:

– قوله عزّوجلّ:﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ اَمْرِنَاۖ مَا كُنتَ تَدْرِے مَاٱلْكِتَٰبُ وَلاَ ٱلِايمَٰنُ ﴾ سورة الشّورى – الآية 49– نقل البغوي في تفسيره أقوال المفسّرين عن المراد بلفظة الرّوح في هذه الآية الكريمة قائلا: « ففسّرها ابن عبّاس على أنّها النّبوة، وفسّرها مالك بن دينار على أنّ المراد بها القرآن [47]»؛ «وأمّا السّيوطي فذكر أنّ المراد بها القرآن وهذا ما نقله في تفسيره وكتابه الإتقان [48]» وبذلك تكون لفظة الرّوح في الآية الكريمة جاءت بمعنى النّبوة والقرآن.

– قوله عزّوجلّ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنَ اَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنَ اَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَآ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ سورة النّحل– الآية 02– ذكر الطّاهر بن عاشور تفسير هذه الآية بقوله:

[46] ابن منظر– لسان العرب– مج2–ص 455.

[47] ينظر– البغوي –معالم التّنزيل– ج25–ص 201.

[48] ينظر– جلال الدّين السّيوطي– الدّرالمنثور–ج4–ص 364 و الإتقان في علوم القرآن– ص 305 .

«كان استعجالهم بالعذاب استهزاءً بالرّسول – ﷺ–وتكذيباً وكان ناشئا – أي الاستهزاء والكذب– من عقيدة الاشراك التي من أصولها استحالة الرّسل من البشر، وأُتبع تحقيق مجيء العذاب بتنزيه الله عن الشّريك فقُفِيَ ذلك بتبرئة الرّسول –ﷺ – من الكذب فيما يبلّغه عن ربّه ووصف لهم الإرسال وصفاً موجزاً، وهذا اعتراضٌ في أثناء الاستدلال على التّوحيد، والمراد بالملائكة الواحد منهم جبريل – عليه السلام– والرّوح الوحي أطلق عليه اسم الرّوح استعارة لأن الوحيَ به هدى العقول إلى الحق ... ووجه تشبيه الوحي بالرّوح أنّ الوحي إذا وعته العقول حلّت بها الحياة المعنويّة وهو العلم، كما أنّ الرّوح إذا حلَّ في الجسم حلّت به الحياة الحسّية ...ّ ومعنى: ﴿ مِن أَمْرِهِۦٓ﴾ أي من أموره وشؤونه ومقدّراته التي استأثر بها ... وأمّا: ﴿عَلَىٰ مَن يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ فهي ردٌّ على فنون من تكذيبهم [49]»؛ فجاء معنى الرّوح مجازا دالا على الوحي، ووافق السّيوطيُ هذا المعنى «– الوحي –في كتابه الإتقان»[50].

وأمّا البغوي فذكر في تفسيره معنى الرّوح بقوله: « المراد بها الوحيُ وسمي كذلك لأنّه يحي به القلوب وهو عند عطاء بمعنى النّبوة، وعند قتادة بمعنى الرّحمة، وعند أبي عبيدة جبريل – عليه السلام– وتقدير ذلك بالرّوح أي مع الرّوح [51]»؛ إنّ النّاظر في هذه الأقوال يجدها متداخلة فبعضهم ذهب إلى معنى الرّوح

[49] الطّاهر بن عاشور – التّحرير والتّنوير– ج14–ص 98–99– بتصرّف.

[50] ينظر– جلال الدّين السّيوطي–الإتقان في علوم القرآن – ص 305.

[51] ينظر – البغوي – معالم التّنزيل – مج 5–ص 8.

على أنّه الوحي في الآية الأولى، والآخر ذهب إلى هذا المعنى في الآية الثّانية وهذا لا إشكال فيه فكثيرا ما نجد اختلافا بين المفسّرين في المعاني فلكلّ واحدٌ منهم رأي ومعنى في الآيات قد تتوافق وقد تختلف، ومعنى الرّوح في الآية الكريمة كما ذهب إلى ذلك أغلب المفسّرين جاء دالاّ على الوحي والنّبوة.

- قوله عزّوجلّ: ﴿ يَـٰبَنِى ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُّوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لاَ يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ سورة يوسف- الآية 87- ذكر أبو حيّان الأندلسيّ في تفسيره معاني هذه الآيات كما يلي: « ﴿ ٱذْهَبُواْ ﴾ أمر بالذّهاب إلى الأرض التي جاءوا منها وتركوا بها أخويهم، وأمر بالتّحسّسِّ وهو الاستقصاء والطّلب بالحواس ويستعمل في الخير والشّر وقرئ بالجيم كالذي في الحجرات {ولا تجسّسوا} والمعنى فتحسّسوا نبأ من أمر يوسف وأخيه ... وقوله ﴿وَلا تَاْيْـَٔسُواْ﴾ هي قراءة الجمهور وقرأ بعضهم { تأيسوا } وقرأ الأعرج { تئسوا } بكسر التّاء ﴿ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ رحمته وفرجه وتنفيسه »[52]؛ إنّ سياق المشهد يقتضي أن يكون معنى الرّوح الفرج والرّحمة فهو سياق يصور مشهد نبيّ الله يعقوب – عليه السلام- ينتظر الرّحمة وأي رحمة ؟ إنّها رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، وهذا المعنى «– الرّحمة والفرج- كذلك ذكره كلٌّ من الشّوكاني السّيوطي في تفسيرهما »[53].

[52] أبو حيّان الأندلسي- البحر المحيط في التّفسير- ج6- ص 315.

[53] ينظر- محمّد الشّوكاني- فتح القدير- ص 710 و جلال الدّين السّيوطي- الدّرر المنثور -ج4-ص 575.

- قوله عزّوجلّ: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ سورة الواقعة – الآيتين 92/91- تعدّدّت معاني الرّوح عند المفسّرين في هذه الآية الكريمة ولعلّ ذلك يرجع إلى تنوّع القراءات القرآنية فيها، ففسّرها الشّوكاني بقوله: « ... قرأ لجمهور {رَوح}بفتح الرّاء ومعناهُ الرّاحة في الدّنيا والاستراحة من أحوالها، وقال الحسنُ الرّوح الرّحمة وقال مجاهد الرّوح الفرحُ وقرأ ابن عبّاس وعائشة والحسن وقتادة وناصر بن عاصم و الحجدري {فرُوحٌ} بضمّ الرّاء، ورويت هذه القراءة عن يعقوب، قيل ومعنى هذه القراءة الرّحمة لأنّها كالحياة للمرحوم »[54]؛ وأمّا السّيوطي فساق في تفسيره قولا يوافق هذا المعنى قائلاً: « وكان الحسن يقرأ فروح يقول فراحةٌ وأمّا الضّحّاك فرأى أنّ معناها الاستراحة ... ثم ساق أي – السّيوطي – بعد إنهاءه لهذه الأقوال حديثا أخرجه مالك وأحمد وعبد الحميد في مسنده والبخاري ومسلم والنّسائي عن أبي قتادة قال: "كنّا مع رسول الله – ﷺ– إذ مرّت جنازة فقال: مستريح ومستراح منه، فقلنا يا رسول الله ما المستريح وما المستراحُ منه قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدّنيا وأذاها إلى رحمة الله سبحانه وتعالى، والعبدُ الفاجر يستريح منه العبادُ والبلاء والشّجر والدّواب "»[55].

وعليه فإنّ معنى الرّوح في الآية الكريمة جاء دالاّ على الرّاحة والاستراحة، كما ذكر المفسّرون ولعلّ الحديث الشّريف كان موضحاً وجامعا لتلك الأقوال.

[54] محمّد الشّوكاني- فتح القدير- ص 1452.

[55] ينظر- جلال الدّين السّيوطي- الدرر المنثور- ج 8-ص 36-37.

-قولـه عزّوجـلّ:﴿ لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْاَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوَ اَبْنَآءَهُمْ أَوِ اِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ اوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْايمَنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ سـورة المجادلة – الآية 21 ؛ ذكر الشّـوكاني في تفسـيره معاني هذه الآية بقوله «المراد بقوله تعالى: ﴿ لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْاَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ خطابٌ لرسـول الله – صـلى الله عليه وسـلّم- أو لكلٍّ من يصـلح أن يحبّون أو يوالون كل من عادى الله ورسـوله وشـاقّهما وجملة: ﴿ يُوَآدُّون ﴾ في محلِّ نصـب على أنّها المفعول الثّاني لتجدُ إن كان متعدّياً إلى مفعولين أو في محلِّ نصـبٍ على الحال إن كان متعدّيا إلى مفعول واحد أو؛ صـفة أخرى لقومٍ أي جامعون بين الإيمان والمودّة لمن حادّ الله ورسـوله ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوَ اَبْنَآءَهُمْ أَوِ اِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ أي ولو كان المحادّون لله ورسـوله آباء الموادّين ... فإنّ الإيمان يحزجرُ عن ذلك ويمنع منه ورعايته أقوى من رّعاية الأبوّة والبنوّة والأخوّة والعشـيرة ﴿ اوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْايمَنَ ﴾ – أي الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسـوله – خلقهُ وقيل جعله وقيل جمعه والمعاني متقاربة ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوح مِّنْهُ ﴾ قوّاهم بنصـر منه على عدوِّهم في الدّنيا وسمي نصـره لهم روحاً لأنّ بها تحيا قلوبهم »[56].

[56] محمّد الشّوكاني – فتح القدير-ص 1471.

وبذلك يكون معنى الرّوح في الآية الكريمة دالاً على النّصر وهو نفسه مذكور عند البغوي وسعد بن حصين في تفسيرهما [57].

وممّا تقدّم نستنتج أنّ الدّلالة المعجمية للفظة الرّوح جاءت مطّردة في المعاجم العربية ولا يمكن إحصاء معانيها، ومن معانيها ذكرنا الرّيح والفرح، وأمّا في السّياق القرآني فقد ورد هذا اللّفظ بمعانيَ منها النّبوة والقرآن، الوحي، الرّحمة والفرح، الرّاحة والاستراحة، النّصر.

– النّموذج الخامس : لفظة الضّرب

جاءت دلالة هده اللّفظة في المعجم العربي على عدّة أقوال فذكر ابن فارس في معجمه مقاييس اللّغة معناها بقوله: « الضّاد والرّاء والباءُ أصل واحدٌ ثم استعار ويحمل عليه ... وشبّهوا الضّرب في الأرض تجارة ... ويقولون الإسراعُ إلى السّير ضربٌ، ورجلٌ مِضربٌ شديدُ الضّرب، ومن البّاب الضّرب الصّيغةُ والضّريبُ المثلُ والضّريب الصّقيع والضّريبُ الشّهيدُ ... وأضرب فلانٌ عن الأمر أي كفَّ[58]»؛ وأمّا في القاموس المحيط للفيروز أبادي فجاء معناها بقوله: « ضربه يضربه وضرّبه وهو ضاربٌ وضريبٌ والمضرَبُ والمضرابُ ما ضُرب به وضرُبت يده ككرُم جاد ضربها ، وضربت الطّير تضرب ذهبت تبتغي الرّزق ... وفي الأرض ضرْباً وضِرباناً خرج تاجرا أو غازيًا أو أسرع وذهب» [59].

[57] ينظر- البغوي- معالم التّنزيل – ج8-ص63 وسعد بن حصين – مهذّب الجلالين – ص 545.
[58] ابن فارس – مقاييس اللّغة -ج3-ص 399 .
[59] الفيروز أبادي- القّاموس المحيط- ص 107.

إنّ الدّلالة المعجمية للفظة الضّـرب لا تكادُ توضـح معناها لوجود اضـطراب كبير فيها، فدلالتها المعجمية عموما تدلُّ على الصّيغة والرّزق والتّوقف عن الشيء، وما يظهر معانها بشكل أفضل هو دراستها ضمن سياق معيّن ولهذا سنعرض مجموعة آيات بيّنات من الذّكر الحكيم وردت فيها هذه اللّفظة، ثمّ نبيّن المعاني الواردة فيها وهذه الآيات هي:

- قوله عزّوجلّ: ﴿ وَقُل لِّلْمُومِنَتِ يَغْضُضْنَ مِنَ اَبْصـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْن فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ سورة النّور- الآية 31- محلُّ الشّاهد من هذه الآية هو قوله تعالى:﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ فمقصود الضّرب في هذه الآية هو « "المبالغة غي الإلقاء "كما ذكر ذلك الشّوكاني في تفسيره »[60]؛ ومقصود الضّرب عند سعد بن حصين هو: «ستر الرؤوس والأعناق والصّدور بالمقانع »[61] ؛ وهو عند الطّاهر ابن عاشور: «تمكين الوضع ومعناه: ليشددن وضع الخمر على الجيوب أي بحيثُ لا يظهر شيء، والبّاء في خمرهنّ مبالغة لتأكيد اللّصوق في إحكام الخمار على الجيب زيادة على المبالغة المستفادة من يضربن، والجيوب جمع جيب بفتح الجيم وهو طوق القميص على الرّقبة »[62]، وعلى كلّ فإنّ معاني الضّرب هاهنا تدور حول الإلقاء والسّتر وكلّها داعيةٌ إلى إخفاء زينة المرأة.

[60] ينظر- محمّد الشّوكاني- فتح القدير-ص 1008.

[61] ينظر- سعد بن حصين- مهذّب الجلالين-ص 354.

[62] ينظر- الطّاهر بن عاشور- التّحرير والتّنوير- ج18-ص 208.

– قوله عزّوجلّ:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلذِينَ ٱحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي ٱلاَرْضِ يَحْسِبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمٰهُمْ لاَ يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً﴾– سورة النّور– الآية 273–جاء تفسير هذه الآية عند الشّوكاني كالتّالي: « مراد قوله عزّوجل:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلذِينَ ٱحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ هم أصحاب الصّفة كما جاء عن ابن عبّاس، وأمّا عن مجاهد فهم مهاجروا قريش بالمدينة مع النّبي – ﷺ– أُمروا بالصّدقة عليه، وأمّا قوله عزّوجلّ: ﴿ٱلذِينَ ٱحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فجاء عن الرّبيع أنّهم حصروا أنفسهم في سبيل الله فلا يستطيعون تجارة، وأمّا عن السّعيد بن جبير فهم: قومٌ أصابتهم الجارحات في سبيل الله فصاروا زمَنِي، فجُعل لهم في أموال المسمين حقٌّ، ومراد قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي ٱلاَرْضِ﴾ أي لا يستطيعون تجارة كما ذكر ذلك رجاء بن حيوة [63]»؛ والآية الأخيرة هي محلُّ الشّاهد في هذا الموضع ففيها فُسّر الضّرب بالتّجارة، وهذا المعنى – التّجارة – يؤيّده ما ذكره السّيوطي في تفسيره من أقوال للفّسرين[64].

– قوله عزّوجل: ﴿ وَءَاخَرُون يَضْرِبُونَ فِي ٱلاَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ... ﴾ سورة المزمّل – الآية 18– قال الشّوكاني في تفسير هذه الآية: « يسافرون فيها للتّجارة والأرباح، يطلبون من رّزق الله ما

[63] ينظر– الشّوكاني– فتح القدير – ص 188.

[64] ينظر– جلال الدّين السّيوطي– الدّرر المنثور– ص 90.

يحتاجون إليه في معاشهم فلا يطيقون قيام اللّيل»[65]، وهذا المعنى كذلك ذكره سعد بن الحصين في تفسيره [66]، فجاء معنى الضرّب في الآية الكريمة دالاّ على السّفر.

- قوله عزّوجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِۦٓ أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾ سورة البقرة – الآية 25- جاء في تفسير الطّاهر ابن عاشور قوله: «الاستحياء والحياء أصل واحدٌ فالسّين والتّاء فيه للمبالغة مثل استقدم واستأجر واستجاب ... وهو هنا منفيٌّ عن أن يكون وصفاً لله تعالى فلا يحتاج إلى تأويل في إسناده إلى الله، والتّعليل لذلك بأن نفي الوصف يستلزم صحّة الانصاف تعّللٌ غيرُ مسلّم ... والضّرب في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا ﴾ مستعملٌ مجازاً في الوضع والجعل، ومن قولهم ضرب خيمة وضرب بيتاً ... قال الفرزذق:

ضَرَبَت عَلَيكَ العَنكَبوتَ بِنَسجِها **** وَقَضى عَلَيكَ بِهِ الكِتابُ المنزَلُ

أي جعل شيئا مثلا قال تعالى:﴿ فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلهِ ٱلاَمْثَالَۚ﴾ أي لا تجلعوا له مماثلاً من خلقه »[67]، وعليه فإنّ الضّرب في هذه الآيات جاء دالاّ على معنى الجعل و الوضع.

- قوله عزّوجل: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا اَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ سورة ياسين- الآية 12؛ الضّـــرب في هذه الآية بمعانٍ متعدّدة ومتقاربة في غالبها فهي عند البغوي بمعنى: « أذكر لهم

[65] محمد الشّوكاني- فتح القدير- ص 1549.

[66] ينظر- سعد بن الحصين- مهذّب الجلالين- ص 575.

[67] الطّاهر ابن عاشور- التّحرير والتّنوير- ج1-ص 361.

شبها مثل حالهم من قصّة أصحاب القرية وهي أنطاكية [68] » ؛ وهي بمعنى: « اجعل لهم عند سعد بن الحصين »[69].

ويتّضح مما سبق أن الدّلالة المعجمية للفظة الضّرب دلّت على الصّيغة وطلب الرزق وغيرها واتّضحت دلالتها – السّياقية – في الآيات القرآنية حيث جاءت بمعاني منها: الإلقاء والستر، التّجارة، السّفر، الوضع والجعل ، كما جاءت بمعنى أذكر واجعل.

– النّموذج السّادس : لفظة القضاء

ممّا جاء في معنى هذه الكلمة عند أصحاب المعاجم أذكر: ما أورده ابن فارس في معجمه مقاييس اللّغة فذكر أنّ: « القاف والضّاد والحرف المعتلُّ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على إحكام أمر وإتقانه؛ وإنفاذه لجهته ... والقضاء الحكم ... ولذلك سمّي القاضي قاضياً لأنّه يُحكم الأحكام وينفذها؛ وسمّيت المنيّة قضاءً لأنّه أمرٌ ينفّذ في ابن آدم وغيره من الخلق»[70].

وجاء في معناها عند ابن منظور في معجمه لسان العرب بقوله: « القضاء الحكم وأصله قاضيُ لأنّه من قضيتُ، إلا أنّ الياء لما جاءت بعد الهمزة هُمزت ... وقضى عليه قضي قضاءً وقضيّة، والقضيّةُ

[68] البغوي– معالم التّنزيل– مج 7–ص 10 .

[69] سعد بن الحصين– مهذّب الجلالين –ص441–442.

[70] ابن فارس– مقاييس اللّغة – ج5–ص 99.

مثله والجمع القضايا على فعالى وأصله فعائل والقضايا الأحكام ... وقضاءُ الشّيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه »[71].

وعليه فإنّ الدّلالة المعجمية للفظة القضـــاء جاءت دالّة على إحكام الشّـــيء وإمضـــاءه وذلك في عمومها، أمّا في القرآن الكريم فقد ورد هذا اللّفظ بصيغ متعدّدة ومعاني مختلفة في مواضع مختلفة نذكر منها:

- قوله عزّوجلّ :﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً ﴾ سورة الإسراء- الآية 23- جاء تفسير هذه الآية عند الشّوكاني بقوله: «قضى ربّك أي أمر أمراً جازما وحكما قاطعاً وحتماً مبرماً ان .. إياه .. أي بأن لا تعبدوا فتكون أن ناصبة ويجوز أن تكون مفسّرة ولا نهي وقرئ { ووصّى ربّك} أي وصّى عباده بعبادته وحده ثم أردفه بالأمر ببرِّ الوالدين فقال وبوالدين إحسانا »[72]. وهذا المعنى نفسه «ذكره ابن عبّاس وقتادة والحسن؛ وذهب الرّبيع إلى معنى" أوجب ربّك "، كما ذهب مجاهد إلى معنى "أوصى "وهذه الأقوال نقلها البغوي في تفسيره»[73].

- قوله عزّوجلّ :﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلاَّ دَآبَّةُ ٱلأَرْضِ تَاكُلُ مِنسَاتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾سورة سبأ-

[71] ابن منظور- لسان العرب- ج15-ص 186.

[72] محمّد الشّوكاني- فتح القدير- ص 817.

[73] البغوي – معالم التّنزيل- مج 7-ص 85.

الآية 14- نقل الطّبري تفسير هذه الآية عن أبي جعفر فقال: «يقول تعالى فلمّا أمضينا قضاءنا على سليمان – عليه السلام- بالموت فمات ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾ أي: لم يدلّ الجنّ على موت سليمان – عليه السلام- إلاّ ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ وهي الأرضَةُ وقعت في عصاه التي كان متّكأً عليها فأكلتها فذلك قوله تعالى:﴿ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ »[74]؛ وردَّ الشّوكاني معنى القضاء في تفسيره إلى: «الحكم والإلزام »[75].

وبذلك يكون معنى القضاء في الآية الكريمة دالاً على الإمضاء والإحكام والإلزام.

-قوله عزّوجل:﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ سورة البقرة – الآية 199- جاء تفسير هذه الآية عند الألوسي على النّحو التّالي: «﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾ أي أدّيتم عبادتكم الحجّية وفرغتم منها ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ ﴾ أي كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجّكم ... »[76]؛ فدلّ تفسير الألوسي على أنّ معنى القضاء في هذه الآية هو الفراغ وهذا المعنى نفسه مذكور عند السّيوطي في كتابه الإتقان »[77]؛ ونظير ذلك قوله تعالى:﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾سورة يوسف –

[74] الطّبري- جامع البيان في تأويل آي القرآن- ج13-ص 273.

[75] ينظر- محمّد الشّوكاني – فتح القدير- ص 1192.

[76] شهاب الدّين الألوسي- روح المعاني – ج2-ص 89.

[77] جلال الدّين السّيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ص 305.

الآية 41- قال البغوي فيها: «أي فرغ الأمر الذي عنه تسألان ووجب حكم الله عليكما الذي أخبرتكما به، رأيتما أو لم تريا[78].

قوله عزّوجلّ: ﴿ فَقَضٰىهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ اَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ سورة فصّلت – الآية 11- قال الشّوكاني في معنى هذه الآية « أي خلقهنّ وأحكمهنّ ، كما في قول الشّاعر:

وعَليهِمَا مَسْرُودتاَنِ قَضَاهُمَا *** دَاودُ إذ صَبَغ السَّوَابغِ تتبع

والضّمير في قضاهنّ إمّا راجعٌ إلى السّماء على المعنى، لأنّها سبع سماوات أو مبهمٌ مفسّرٌ بسبع سماوات أو على البدل من الضّمير، وانتصاب سبع سماوات على التّفسير أو على البدل من الضّمير، وقيل إنّ انتصابه على أنّه المفعول الثاني لقضاهنّ لأنّه مضمن معنى صبّرهن، وقيل على الحال أي قضاهنّ حال كونهن معدودات بسبع، ويكون قضى بمعنى صنع؛ وقيل على التّمييز ... »[79] وهذه الآيات هي المقصودة في هذه الفقرة، وبذلك يكون معنى القضاء في هذه الآية دالاّ على الصّنع والخلق والإحكام وكلّها مرتبطة بالسّموات؛ وذهب سعد بن الحصين في تفسيره إلى أنّ معنى القضاء هو:

[78] البغوي –معالم التّنزيل- مج4- ص 243.

[79] محمّد الشّوكاني- فتح القدير- ص 1311.

«التّصـيير وهنا إرجاع الضّـمير إلى السّـماء لأنّها في معنى الجمع الآيلة إليه » [80]. فالقضـاء هنا جاء بمعنى الصّنع والتّصيير.

- قوله عزّوجل: ﴿وَلَو يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ سـورة يونس – الآية 11- ذكر الشّـوكاني في تفسـيره معاني هذه الآيات كالتّالي: « ﴿ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ ﴾ معناها لماتوا وقيل المعنى لو فعل الله مع النّاس في إجابتهم للمكروه مثل ما يريدون فعله في إجابتهم إلى الخير لأهلكهم ... أي لأهلكوا ولكنّه سبحانه لم يعجّل لهم الشّر فأهملوا وقيل معناه أُميتوا وقرأ ابن عامر{لقضى} على البناء للفاعل وهي قراءة حسنة لمناسبة ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَو يُعَجِّلُ ٱللَّهُ﴾[81] » ؛ وبذلك تكون دلالة لفضة القضاء الواردة في الآية بمعنى الإماتة، وهي بمعنى: « الهلاك عند السّيوطي في كتابه الإتقان »[82].

وبذلك تكون الدّلالة المعجمية للفظة القضـاء بمعنى الإحكام والإمضـاء وذلك في عمومها وأمّا في السّـياق القرآني فقد جاءت بمعانيَ منها: الوجوب والوصـاية، الالزام والاحكام، الأداء والفراغ، الخلق والتّصيير، الإهلاك والإماتةُ.

[80] ينظر- سعد بن الحصين – مهذّب الجلالين -ص 477.

[81] محمّد الشّوكاني -فتح القدير- ص 641.

[82] ينظر- جلال الدّين السّيوطي- الإتقان في علوم القرآن – ص 305.

وفي ختام هذا الفصل يمكننا أن نختم بقول هادي نهر الوارد في كتابه علم الدّلالة التّطبيقي عن العمل المعجمي الذي قال فيه: « يمكنُ عدُّ صنيع المعجميّين العرب القدامى في أكثر أوجهه وصفًا للاستعمال الفعليِّ للّغة وهذا الوصف مستندٌ أساساً إلى ملاحظاتهم السّياق أو المقام الذي تجري فيه اللّغة نشاطاً تواصليّاً »[83].

كما أنّ المعجميّن «قد استعانوا بجميع الوسائل اللّسانية لإبلاغ المعنى إلى القارئ وأهم تلك الوسائل: التّعريف والتّعريف المقتضبُ والتّعريف بالمرادف والتّعريف بالضّد والتّعريف بالمثل وكلّ هذه الوسائل كانت مشروطة بمبادئ وقواعد، وعندما واجه المعجميُّ مشكلة الاختيار بين التّعريف المصطلحي والتّعريف المنطقي والتّعريف اللّغوي اختار هذا الأخير لأنّه أراد أن يعرف اللّفظ بوصفه اسمّا لا شيئاً ولا مفهوماً »[84].

وبكلِّ هذه الوسائل بيَّن المعجميُّ دلالة اللّفظة في سياقها اللّغوي وأعطى جملة من الأمثلة على ذلك صاغها لهذه اللّفظة ولتلك، وهذا الصّنيع المعجميُّ عرف عند أصحاب الدّلالة بالدّلالة المعجمية لمركزية المعنى فيه، وفي مقابل هذا العمل عُرف ما اصطلح عند الدّلاليين بالدّلالة السّياقية أو ما يعرف بالمعنى السّياقي، وهذا المعنى معتمدٌ عند كثير من دارسي اللّغة من نّحوين وأصوليّين ومفسّرين وغيرهم ممّن اهتمّوا بعلوم العربية والشّرعية بغية خدمة كتاب الله وتِبيان مواضع الإعجاز اللّفظي فيه شرحا

[83] هادي نهر- علم الدّلالة التّطبيقي- ص 285.

[84] ينظر- علي قاسمي- إشكالية الدّلالة في المعجمية العربية – منتدى مجمع اللغة العربية على الشّبكة العالمية – مقال منقول بتاريخ 16-4-2007.

وعناية وقد تناولنا في هذا الفصـــل بعض معاني الألفاظ وبيّنا دلالتها المعجمية من منظور أصـــحاب المعاجم، كما تناولنا هذه الألفاظ بالدّراسة من جانب ورودها في السّياق القرآني ، فعرضنا أهمّ أقوال المفسّرين لنبيّن كيف أنّ السّياق القرآني كان له أثر في تغيير الدّلالة المعجمية من سياق لآخر.

و استنادا إلى ما سبق ذكره أضفنا ملحقاً ، هو عبارة عن جدول توضيحي بيّنا من خلاله كيّف تغيّر معنى الدّلالة المعجميّة في السّياق القرآني تبعاً لكل آية كما سيأتي بيانه .

الملحق

الملاحق :

اللّفظة	دلالتها المعجميّة	دلالتها السّياقية	الآية
الرّحمة	**الرّقة والتعاطف**	الإحسان	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ أَللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ سورة آل عمران – الآية 159
		الجنّة والثّواب	﴿ إِن أَلذِينَ ءَامَنُواْ وَالذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِے سَبِيلِ أَللَّهِ أُوْلَٰبِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ أَللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة البقرة – الآية 216
		المغفرة	﴿ كَتَب رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِه أَلرَّحْمَةَ ﴾ سورة الأنعام الآية 55
		المطر	﴿ وَهُوَ أَلذِے يُرْسِلُ أَلرِّيَٰحَ نُشُراَ بَيْنَ يَدَے رَحْمَتِهِۦ ﴾ سورة الأعراف–الآية 56
		المودّة	﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى أَبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَلانجِيلَ وَجَعَلْنَا فِے قُلُوبِ أَلذِينَ أَتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ سورة الحديد – الآية 26

اللّفظة	دلالتها المعجميّة	دلالتها السّياقية	الآية
النّور	**الإضاءة**	الإيمان	﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلذِينَ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى لنُّورِ ﴾ سورة البقرة – الآية 256
		القرآن	﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلِإسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ سورة الزّمر الآية 21
		الهداية	﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُوراً فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ سورة النّور- الآية 39
		الضّياء	﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ سورة الحديد - الآية 12
		الإسلام	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُّطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَابَى ٱللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُّتِم نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُون ﴾ سورة التّوبة – الآية 32

اللّفظة	دلالتها المعجميّة	دلالتها السّياقية	الآية
السّلم	**البراءة والعافية**	الجنّة	قولّه عزوجلّ: ﴿وَالله يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِے مَنْ يَّشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾سورة يونس الآية 25
		الصّلح	﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ سورة الأنفال – الآية 61
		التّحيّة والخير	﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ سورة القدر- الآية 05
		البراءة والسّداد	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ سورة الفرقان – الآية 63
		الإسلام	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِے ٱلسَّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ سورة البقرة – الآية 206

اللّفظة	دلالتها المعجميّة	دلالتها السّياقية	الآية
الرّشد	**الهداية والاستقامة**	الصّلاح	﴿ وَابْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ سورة النّساء-الآية 06
		الهداية والصّواب	﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴾ سورة الكهف- الآية 34
		الرّجل الصّالح	﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾ سورة هود- الآية 77.
		الإيمان والحق	﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ ﴾ سورة البقرة – الآية 255-
		الخير	﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾سورة الجّن — الآية 21-

اللّفظة	دلالتها المعجميّة	دلالتها السّياقية	الآية
الرّوح	**الرّيح والرّحمة**	النبّوة والقرآن	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ اَمْرِنَاۖ مَا كُنتَ تَدْرِے مَاٱلْكِتَٰبُ وَلاَ ٱلِايمَٰنُ ﴾ سورة الشّورى – الآية 49
		الوحي	﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ اَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنَ اَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ سورة النّحل- الآية 02
		الرّحمة والفرح	﴿ يَٰبَنِى اِذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِنْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ اِللَّهِۖ إِنَّهُۥ لاَ يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اِللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ سورة يوسف- الآية 87
		الرّاحة والاستراحة	﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ سورة الواقعة – الآيتين92-91
		النّصر	﴿ اُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِے قُلُوبِهِمُ ٱلِايمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ سورة المجادلة – الآية 21

اللّفظة	دلالتها المعجميّة	دلالتها السّياقية	الآية
الضرب	**الصّيغة والرّزق والتّوقف**	الإلقاء والسّتر	﴿ وَقُل لِّلْمُومِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنَ اَبْصٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْن فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ﴾ سورة النّور- الآية 31
		التّجارة	﴿ لِلْفُقَرَآءِ اْلذِينَ اُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ اْللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِى اْلاَرْضِ يَحْسِبُهُمُ اْلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ أْلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمٰهُمْ لاَ يَسْـَٔلُونَ أْلنَّاسَ إِلْحَافاًۗ ﴾- سورة النّور- الآية 273
		السّفر	﴿ وَءَاخَرُون يَضْرِبُونَ فِى اْلاَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اْللَّهِ ... ﴾سورة المزمّل – الآية 18-
		الوضع والجعل	﴿إِنَّ أْللَّهَ لاَ يَسْتَحْىِۦٓ أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۖ ﴾ سورة البقرة – الآية 25-

اللّفظة	دلالتها المعجميّة	دلالتها السّياقية	الآية
القضاء	**الإحكام والإمضاء**	الوجوب الوصاية أي : أوجب ووصّى	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً ﴾ سورة الإسراء- الآية 23
		الإمضاء الالزام الإحكام	﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلاَّ دَآبَّةُ ٱلاَرْضِ تَاكُلُ مِنسَاتَهُۥ ﴾سورة سبأ- الآية 14
		الأداء والفراغ	﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوَ اَشَدَّ ذِكْراً ﴾سورة البقرة – الآية 199
		صّنع والتّصيير	﴿فَقَضَيٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ اَمْرَهَا ﴾ سورة فصّلت – الآية 11
		الإهلاك والإماتة	﴿وَلَو يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ اِسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ سورة يونس – الآية 11

الخاتمة

ظلّ القرآن الكريم منذ نزوله الشّعاع المضيء للعديد من الدّراسات اللّغوية والإسلاميّة فتحدّث عنه الباحثون والمفكّرون باختلاف تخصّصاتهم وتوجّهاتهم، ولاتزال الأبحاث فيه والدّراسات متواصلة إلى الآن، ومنها هذا البحث الذي سعيتُ من خلاله جاهداً إلى معرفة أثر السّياق القرآني في تغير الدّلالة المعجميّة للألفاظ، وبعد هذا البحث خلصتُ إلى نتائج وثمار لعلّها تكون الشّعلة التي يهتدي بها الباحث في هذا الموضوع يمكن إجمالها في ما يلي:

– تعدُّ قضيّة الألفاظ ومعانيها من بين أهم القضايا التي شغلت بال الباحثين قديماً وحديثا.

– مفهوم الدّلالة مفهوم واسع عند الأوائل خصوصا أنّه لم يكن كعلم مستقلٍّ بذاته.

– عرفت الحضارات السّابقة (الهنود واليونانيّون، والعرب) الدّلالة وأقسامها وتحدّثوا عن الكثير من أبحاثها، غير أنّ دخوله البحث اللّغوي لم يتمّ حتّى أواخر القرن التّاسع عشر.

– ميّز علماء الدّلالة بين أنواع من الدّلالة نذكر منها: الدّلالة النحّوية، الدّلالة الصّرفيّة، الدّلالة المعجميّة، الدّلالة السّياقيّة.

– ممّا جاء في مباحث علم الدّلالة : الدّال والمدلول، اللّغة، التّغير الدّلالي، الحقول الدّلاليّة.

– يعدُّ السّياق من أهمّ العناصر اللّغوية المساعدة على تحديد معاني الألفاظ ودلالات التّراكيب.

– تطرّق العرب القدامى إلى مسألة السّياق وإلى مصطلحاته ومفاهيمه كاستخدامهم لمصطلح القرائن، المقام، مقتضى الحال وغيرها.

– الدّرس السّياقي القديم يضاهي إلى حدّ بعيد النّظرية السّياقيّة الحديثة مع مراعاة الفارق الزّماني والبيئة اللّغويّة.

– مرّت النّظرية السّياقية قبل نضجها بالعديد من المحطّات كان أهمها: محطّة البنيويّة على يد "سوسيور"، ثمّ محطّة "مالينوفسكي" الذي أخرج السّياق من القوقعة الدّاخلية، إلى أن بلغت النّظرية منتهاها على يد "فيرث".

– يعدُّ السّياق من أهم الوسائل المستعملة في ترجيح المعاني وفهمها سواء عند القدامى والمحدثين.

– يعدُّ السّياق القرآني من أهمّ الوسائل المستخدمة لدى المفسّرين في تحديد معاني القرآن الكريم.

– ميّز دارسو السّياق القرآني بين أهم أربعة أنواع هي: سياق الآية، سياق السّورة، سياق المقطع، سياق القرآن أو السّياق العام للقرآن.

– من أوجه سياق القرآن: الوجه المقاصدي، وجه اطّراد الأساليب القرآنيّة، وجه المعاني الكلّية.

– تعدّدّت معاني الألفاظ القرآنيّة من سياق لآخر وتغيّرت دلالتها المعجميّة تبعا لكل سياق قرآني.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1-إبراهيم أصبان- السّياق بين علماء الشريعة والمدارس اللّغوية الحديثة – مقال بمجلة الإحياء – الرّابطة المحمّدية المغربية - 2007م.

2-إبراهيم أنيس و آخرون- المعجم الوسيط -مجمع اللّغة العربية – مكتبة الشّروق الدّولية – ط4- 2004م.

3-إبراهيم أنيس-دلالة الألفاظ - مكتبة الأنجلو المصرية -ط2-1986م.

4-إبراهيم فتحي- معجم المصطلحات الأدبية- المؤسسة العربية للنّاشرين المتّحدين- ط1- 1986م.

5-ابن السرّاج- الأصول في النّحو- تح عبد الحي الفتلي- مؤسسّة الرّسالة – بيروت-ط1- 1996م.

6-ابن القسام الأنباري -الأضداد- تح محمّد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصريّة- بيروت – لبنان- 1987م.

7-ابن القيّم الجوزّية – الأمثال في القرآن الكريم -تح: سعيد محمّد الخطيب- دار المعرفة – بيروت – لبنان- 1981م.

8-ابن القيّم الجوزّية -بدائع الفوائد-تح: علي العمران-دار عالم الفوائد طبعة مجمع الفقه - الإسلامي- جدّة- م ع السّعوديّة.

9ا-بن النّجار-شرح الكوكب المنير المسمّى مختصر التّحرير – تح: محمّد الزّحيلي ونزي حمّاد- وزارة الشّؤون الإسلاميّة – م ع السّعودية -1993م.

10-ابن تيميّة -مقدّمة في علم التّفسير-تح: عدنان زرزور- دار نشر-ط2-1972م.

11-ابن جرير الطّبري- جامع البيان في تأويل آي القرآن – تح :عبد الله التّركي- دار هجر-ط1- القاهرة -مصر – 2001م.

12-ابن دقيق العيد- إحكام الأحكام- تح: أحمد شاكر- عالم الكتب-ط2- 1987م.

13-ابن طباطبا -عيّار الشعر-تح: عبّاس عبد الستّار-دار الكتب العلميّة-بيروت-لبنان- ط2- 2005م.

14-ابن فارس – الصّاحبي في فقه اللّغه العربية – تح: عمر الضبّاع- مكتبة المعارف – بيروت- لبنان- ط1-1993م.

15-ابن مسعود البغوي – معالم التّنزيل – تح : محمّد عبد الله وآخرون- دار طيبة – الرّياض- م ع السّعودية -ط1-1411هـ.

16-ابن منظور – لسان العرب- تح: عبد الله الكبير وآخرون- دار المعارف- القاهرة- مصر.

17-أبو إسحاق الشّاطبي-الموافقات-شرح: عبد الله دراز-دار الكتب العلميّة- بيروت-لبنان - ط1-2003م.

18-أبو الحسن النيسابوري – أسباب النّزول- إشراف: لجنة تحقيق التراث-مكتبة الهلال – بيروت- -ط2-1985.

19-أبو السّعود – إرشاد العقل السّليم -دار إحياء التّرات -لبنان -بيروت.

20-أبو الفتح عثمان بن جنّي- الخصائص – تح:محمّد علي النّجار- دارا لكتب المصرّية -المكتبة العلميّة.

21-أبو حامد الغزالي- المستصفى من علم الأصول-تقديم:محمّد إبراهيم رمضان-مطبعة الأرقم- بيروت – لبنان.

22-أبو حيّان الأندلسي – البحر المحيط في التّفسير-تح: زهير جعيد- دار الفكر – بيروت- لبنان- 2010م.

23-أبو عبد الله الدامغاني – قاموس القرآن – تح: عبد العزيز الأهل – دار العلم للملاين- بيروت – لبنان -ط4-1883م.

24-أبو عثمان الجاحظ- البيان والتّبين- تح: عبد السّلام هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة – مصر.

25-أحمد مختار عمر- علم الدّلالة – مكتبة لسان العرب- عالم الكتب -القاهرة– مصر.

26-إدريس الشّافعي- الرّسالة -تح: أحمد شاكر-مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده-ط1-مصر.

27-الفيروز أبادي- القاموس المحيط- تح: محمد العروسي- مؤسسة الرسالة -ط8-2005م.

28-استيفن أولمان- دور الكلمة في اللّغة- تر: كمال بشر- دار غريب- القاهرة-مصر-ط2-1997م.

29-إسماعيل بن كثير-تفسير القرآن العظيم- تح: سامي بن محمّد-دار طيبة-الرّياض-م ع السّعودية-ط1-1999م.

30-بالمر-علم الدّلالة -تر: مجيد الماشطة-كليّة الآداب بالجامعة المستنصريّة- مطبعة العمّال المركزيّة- بغداد-العراق-1985م.

31-برهان الدّين البقّاعي- نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور- دار الكتاب الإسلامي – القاهرة -مصر-1984م.

32-برهان الدين الزركشي – البحر المحيط في أصول الفقه- مراجعة إبراهيم الأشقر- وزارة الأوقاف الإسلامية بالكويت-ط2-1992م.

33-برهان الدّين الزّركشي – البرهان في علوم القرآن- تح: محمّد أبو الفضل – مكتبة دار التراث – القاهرة-مصر.

34-التفتازاني- شروح التّلخيص مع مجموعة رسائل -دار الكتب العلميّة – بيروت -لبنان.

35-تمّام حسّان- اللّغة العربيّة معناها ومبناها- دار الثّقافة- الدّار البيضاء – م المغربيّة- 1994م.

36-جار الله الزمخشري – أساس البلاغة- تح: محمد عيون السود- دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان- ط1-1998م.

37-جلال الدّين السيوطي – المزهر في علوم اللّغة – تح: علي النجاوي وآخرون- منشورات - المكتبة العصريّة – بيروت-لبنان -ط2.

38-جلال الدّين السّيوطي- التحبير في علم التّفسير-تح : فتحي فريد-دار العلوم-الرّياض م ع السّعوديّة -1982م.

39-جلال الدّين السّيوطي-الإتقان في علوم القرآن-تح: شعيب الأرنؤوط-مؤسسّة الرّسالة-ط1-2008م.

40- جوزيف فندريس-اللّغة -تر: عبد الحميد الدّواخلي-تقديم : فاطمة خليل- المركز القومي للتّرجمة-القاهرة-مصر-2014م.

41-جون لاينز- اللغة والمعنى والسّياق- تر: عبّاس صادق الوهاب – دار الشؤون الثّقافية العامة – بغداد – العراق ط1-1987م.

42-حسام البهنساوي-علم الدّلالة والنظريات الدّلالية الحديثة -مكتبة زهراء الشرق- القاهرة- ط1- 2009م.

43-حسين الهندي – ظاهرة التّغير الدّلالي في العصر الحديث – الجامعة الإسلامية – غزّة- فلسطين -دفعة 2018.

44-حلمي خليل – الكلمة دراسة لغوية معجمية – دار المعرفة الجّامعية – مصر- ط2-1992م.

45-ردّة الله الطحلي – دلالة السّياق – رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللّغة -جامعة أم القرى –م ع السّعودية – مج1 - 1418هـ.

46-الرّماني- الخطّابي- الجرجاني- ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن-تح :محمد خلف الله ومحمّد زغلول-دار المعارف المصريّة-ط3.

47-رومان ياكبسون- قضايا الشّعريّة – تر: محمّد الوالي ومبارك حنون-دارتوبقّال- الدّار البيضاء-م المغربية-ط1-1998م.

48-السجلماسي- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع- تح: علاّل الغازي-مكتبة المعارف- الرّباط- م المغربية -ط1-1980م.

49-سعد بن حصين – مهذب الجلالين – ط1- 2002م .

50-الشريف الجرجاني- التعريفات- تح: صديق المنشاوي -دار الفضيلة – القاهرة – مصر.

51-شهاب الدّين الألوسي- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني -دار إحياء التراث العربي-بيروت- لبنان.

52-الشّوكاني-إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول-تح: محمّد سعد البدري-دار الفكر-بيروت-لبنان-ط1-1992م.

53-طّارق بو لخاصيم – ظاهرة التغيّر الدّلالي للألفاظ- أطروحة دكتوراه – جامعة قسنطينة – دفعة 2018/2017.

54-الطّاهر بن عاشور – التّحرير والتّنوير- الدّار التّونسيّة-1984م.

55-عبد الحكيم القاسم-دلالة السّياق القرآني وأثرها في التّفسير-دراسة نظرية تطبيقيّة من خلال –

56-تفسير ابن جرير- دار التّدمرية – الرياض -م ع السّعوديّة- مج1-ط1- 2002م.

57-عبد الحميد أبو سكّين – المعاجم العربيّة مدارسها ومناهجها – الفاروق الحدثيّة -ط2- 1981م.

58-عبد الرّحمن السعدي – تيسير الكريم الرحمن في نفسير كلام المنّان – تح: عبد الرحمن اللّويحق- دار الإمام مالك – الجزائر -ط1- 2009م.

59-عبد الفتّاح المثنّى – السّياق القرآني وأثره في التّرجيح الدّلالي- أطروحة دكتوراه من جامعة اليرموك -الأردن – 2005م.

60- عبد القاهر الجرجاني-أسرار البلاغة- تح: محمّد هنداوي-دار الكتب العلميّة- بيروت-لبنان- ط1-2001م.

61-عبد القاهر الجرجاني-دلائل الإعجاز-تح: محمود شاكر-مكتبة الخافنجي ومطبعة المدني.

62-عبد الله درّاز- النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن -دار القلم – الكويّت.

63-عثمان بن قبر- الكتاب- تح : عبد السّلام هارون- مكتبة الخافنجي- القاهرة – مصر- 1992م.

64-العز بن عبد السّلام-الإلمام في بيان أدلّة الأحكام-تح: رضوان مختار بن غريبة-دار البشائر الاسلاميّة-بيروت-لبنان-1987م-ط1.

65-عزمي إسلام- مفهوم المعنى – دراسة تحليلية -حوليات كلية الاداب-ح6 – الكويت-الرسالة 31-1985م.

66-علي التهانوي- كشاف اصطلاحات الفنون -تح: علي دحروج – مكتبة ناشرون -لبنان - ط1 -1996م.

67-علي قاسمي- إشكالية الدّلالة في المعجمية العربية – منتدى مجمع اللغة العربية على الشّبكة العالمية – مقال منقول بتاريخ 16-2007.

68- فاضل مصطفي السّاقي – أقسام الكلام العربي من حيث الشّكل والوظيفة- تقديم تمّام – حسّان- مكتبة الخانجي – القاهرة -مصر-1977م.

69-فهد الشّتوي -دلالة السّياق وأثرها في توجيه المتشابه اللّفظي في قصّة موسى – عليه السّلام- رسالة ماجستير –كليّة الدّعوة وأصول الدّين – جامعة أم القرى- دفعة 2005م.

70-فوزي عيسى – علم الدّلالة النظرية والتّطبيق -دار المعرفة الجامعية -ط1- 2008م.

71-القاضي عبد الجبّار-المغني في أبواب العدل والتّوحيد-تح: محمّد نبها-دار الكتب العلميّة- بيروت-لبنان.

72-لويس– اللّغة في المجتمع -تر: تمّام حسّان- دار إحياء الكتب العربيّة – 1959م

73-محمّد الشّهراني- السّياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقليّة الحديثة –كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود -الرّياض- م ع السّعوديّة- ط1- 1436هـ.

74- محمّد الشوكاني – فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية في علم التّفسير -تح: يوسف الغوشي -دار المعرفة -بيروت – لبنان -ط4- 2007م.

75-محمّد المهدي – السّياق في كتب التّفسير- الكشّاف وتفسير ابن كثير نموذجا-رسالة ماجستير- جامعة حلب- سوريّة.

76-محمّد حسين الذّهبي-التّفسير والمفسّرون- مكتبة وهبة-ط7- القاهرة – مصر.

77-محمّد عبد الله سيف- البحث الدّلالي عند الشّوكاني- مكتبة المعارف- بيروت-لبنان- 2005م.

78-محمود السعران – علم الدلالة – مقدمة للقارئ العربي -دار النهضة العربية -بيروت – لبنان.

79-مختار الشنقيطي – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن-إشراف : بكر أبو زيد- دار عالم -الفوائد - مكّة المكرّمة- م ع السّعودية -ط1-1426هـ.

80-مختار بومدين- دور السّياق في فهم القصص القرآني ، قصتا آدم وإبراهيم عليهما السّلام- مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية – جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان – الجزائر – دفعة 2014/2013.

81-منّاع القطّان- مباحث في علوم القرآن- مكتبة وهبة -ط7- القاهرة – مصر.

82-منقور عبد الجليل- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي- اتحاد كتاب العرب- دمشق -سوريا 2001م.

83-الموافقات – الشّاطبي- تح : محمّد دراز وعبد الله دراز- دار الكتب العلميّة- بيروت – لبنان- ط1-2004م.

84-هادي نهر -علم الدّلالة التطبيقي – تقديم علي الحمد -دار الأمل – الأردن- ط1- 2007م.

85-يوسف نور عوض- علم النّص ونظرية التّرجمة- دار الثّقة – مكة المكرّمة- م ع السّعودية- ط1-1410هـ.

فهرس الموضوعات

المُحتَوَيَاتْ	الصّفحة
المقدّمة	أ — د
المدخل	2- 17
الفصل الأوّل : الجانب النّظري	19- 67
المبحث الأوّل : مفهوم السّياق	19-23
* مفهوم السّياق لغة	19-20
* مفهوم السّياق اصطلاحا	20-23
المبحث الثّاني : السّياق في التراث العربي والفكر اللّغوي الغربي	24-57
* السّياق في التراث العربي	24-51
– عند النّحاة	24-32
– عند البلاغيين	32-38
– عند الأصوليّين	38-46
–عند المفسّرين	46-51
* السّياق في الفكر اللّغوي الغربي	52-57
– عند فندرس	52-53
– عند ياكبسون	53
–عند مالينوفسكي	54-56
– عند فيرث	56-57

المُحتَوَيَاتْ	الصّفحة
المبحث الثّالث : السّياق القرآني	67-58
* تعريف السّياق القرآني	59-58
* أركان السّياق القرآني	61-59
* أنواع السّياق القرآني	66-61
الفصل الثّاني : الجانب التّطبيقي	**110-69**
نماذج تطبيقية لألفاظ لغويّة واردة بدلالات مختلفة في السّياق القرآني	102-69
الملاحق	110-104
خاتمة	113-112
قائمة المصادر والمراجع	123-115